معالم الثقافة الإسلامية



تأليف
د. محمد بن عبدالعزيز بن صالح الجمعان
رئيس قسم الدراسات الإسلامية في جامعة طيبة

إهـداء ٢٠١٥

الملحقية الثقافية السعودية

القاهرة

معالم
الثقافة الإسلامية

تأليف
د. محمد بن عبدالعزيز بن صالح الجمعان
رئيس قسم الدراسات الإسلامية في جامعة طيبة

دار المسار

ⓒ محمد عبدالعزيز صالح الجمعان، ١٤٣٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجمعان، محمد عبدالعزيز صالح
معالم الثقافة الإسلامية / محمد عبدالعزيز صالح الجمعان –
المدينة المنورة ، ١٤٣٤هـ
١٣٢ ص ؛ ..سم

ردمك : ٨-١٦٣٤-١-٠٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- الثقافة الإسلامية أ. العنوان
ديوي ٢١٤ ١٤٣٤/٢٢٩٣هـ

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٢٢٩٣هـ
ردمك: ٨-١٦٣٤-١-٠٠٣-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة
للمؤلف

الطبعة الثامنة
١٤٣٥هـ -٢٠١٤م

دار المسار – الرياض
هاتف : ٠٥٥٠٤٤٠١٣٣ من خارج السعودية: ٥٥٠٤٤٠١٣٣ ٠٠٩٦٦

لا يجوز تصوير هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو إعادة نشره، أو طبعه، أو تخزينه، أو نسخه بأي وسيلة كانت الكترونية أو غيرها دون إذن خطي مسبق من المؤلف.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فإن الأمة الإسلامية تمر في عصرنا الحاضر بمرحلة مهمة من مراحل تاريخها العظيم، تداخلت فيه ثقافات الأمم، فأصبحت كل أمة تسعى لنشر ثقافتها، والهيمنة على ثقافات الآخرين.

والمسلمون يملكون أعظم ثقافة مستمدة من الدين الذي ارتضاه الله ﷻ للبشرية، فالثقافة الإسلامية ثقافة عالمية، تُصْلِح البشر، وتهديهم إلى أحسن الأديان، فكان حريًا بأهلها السعي لنشرها، وإيصالها للأمم، وتعليم الأجيال مقومات هذه الثقافة الجليلة.

وسعيًا إلى المشاركة في ذلك كان هذا الكتاب الذي أرجو أن يكون لبنة في بناء الثقافة الإسلامية، وقد كنت بدأت بكتابته منذ ما يزيد على خمسة عشر عامًا، فلم يسمح لي الزمن بإتمامه، حتى اصفرت أوراقه، وجفت أقلامه، فلما فسح الله لي في العمر، وهيأ لي السكنى في مدينة رسول الله ﷺ، يسر لي من الأسباب ما ساعد على إعادة النظر في ما كتبت، وإتمام ما كنت به بدأت، فاغتنمت برهة من الدهر، فشمرت عن ساعد الجد، وابتهلت فسحة الوقت، فانعمت النظر فيما سطرته في أول العمر، فحررته، وألحقت به مباحث جديدة، واجتهدت في ترتيبه، وتهذيبه، وتقريبه.

وقد سعيت في هذا الكتاب لتقريب مفهوم الثقافة الإسلامية، وأهدافها، ومصادرها، وخصائصها، وموقفها من الثقافات الأخرى، وخطر الغزو الفكري على الأمة، وبيان العقيدة الإسلامية التي ترتكز عليها الثقافة الإسلامية، ثم ختمت ذلك بالحديث عن العبادة، ومفهومها الشامل في الإسلام، وراعيت في كل ذلك تبسيط العبارة، واختصارها؛ لإيصال الفائدة من أقرب طريق.

والله أسأل أن يجعله عملًا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به، وما كان فيه من صواب فمن الله ﷻ، وماكان فيه من خطأ فمن نفسي، واستغفر الله، ورحم الله من نظر فيه فاغتفر قليل الخطأ في كثير الصواب، والله الموفق للصواب.

د. مُحَمَّد بن عَبْدِ الْعَزِيزِ بن صَالِح الْجُمْعَان

في طيبة الطيبة ١٤٣٣/٩/٩هـ

Dr.aljmaan@gmail.com

الفصل الأول

مدخل إلى الثقافة الإسلامية

المبحث الأول: تعريف الثقافة الإسلامية.

المبحث الثاني: أهداف الثقافة الإسلامية.

المبحث الثالث: مصادر الثقافة الإسلامية.

المبحث الرابع: خصائص الثقافة الإسلامية.

المبحث الخامس: موقف الثقافة الإسلامية من الثقافات الأخرى.

المبحث السادس: موقف الثقافة الإسلامية من الغزو الفكري.

المبحث الأول

تعريف الثقافة الإسلامية

أولاً: تعريف الثقافة لغة:

استعمل العرب مادة «ثقف» للدلالة على عدة معان، منها[١]:

١- الذكاء والفطنة وسرعة التعلم، والحِذْق في إدراكِ الشيء، وفِعْلِهِ، يقال: «غلام ثَقِفٌ»، أي ذو فطنة وذكاء، ويقال: «رجل ثَقِفٌ»، أي يدرك الشيء بحذق، ثم تُجوز به، فاستعمل في مجرد الإدراك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ [البقرة:١٩١].

٢- التأديب والتهذيب، يقال: «ثَقَّف الغلام»، أي أدبه وهذبه، ويقال: «هل تَهَذَّبْتُ وتَثَقَّفْتُ إلا على يَدِكَ».

٣- الإصلاح والتقويم للأمور الحسية، يقال: «ثَقَّفْتُ الرُّمْحُ»، إذا أقمت عِوَجَه، والسهم إذا كان فيه عِوَج ثُقِّفَ بالنار حتى يستوي.

ثانيًا: تعريف الثقافة في الاصطلاح:

عرف مجمع اللغة العربية الثقافة بأنها: «العُلُوم والمعارف والفنون الَّتي يُطْلب الحِذقُ فِيهَا»[٢].

ونلحظ العلاقة بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي، «فالإنسان لا يكون مثقفًا في جملة من العلوم ما لم يكن حاذقًا في إدراكها، حسن الفهم لها، مجيدًا لتقويم ما يطلع عليه»[٣].

---

(١) انظر: مادة (ثقف) في: مقاييس اللغة: ١/ ٣٨٢، لسان العرب: ٩/ ١٩، المعجم الوسيط: ١/ ٩٨.

(٢) المعجم الوسيط: ١/ ٩٨.

(٣) نحو ثقافة إسلامية أصيلة: ٢١.

ثالثًا: تعريف الثقافة الإسلامية في الاصطلاح:

إن مصطلح «الثقافة الإسلامية» من المصطلحات الحديثة، ولذا تعددت التعريفات لهذا المصطلح، ولعل أقربها لتعريف الثقافة الإسلامية أنها[1]:

«العلمُ بمنهجِ الإسلامِ الشُّمولي في العَقِيدةِ والشَّريعةِ والأخْلاقِ والحضارةِ تأثّرًا وتطبيقًا».

فالثقافة الإسلامية قائمة على منهج الإسلام الشمولي المترابط الذي جاء به النبي ﷺ في كل مناحي الحياة من عقيدة وشريعة وأخلاق وحضارة، وهذا المنهج يؤثر على الفرد والمجتمع، ويتبع هذا التأثر تطبيق عملي وواقعي في الحياة، يظهر في سلوك أفراد المجتمع المسلم.

ويظهر من خلال هذا التعريف أنه يربط بين العلم والعمل والسلوك، وبهذا يكون جامعًا للعلوم الإسلامية المتنوعة، والعمل بها، والسلوك العام للمجتمع الإسلامي الذي يظهر نتيجة للعلم والعمل بالإسلام كمنهج حياة شامل.

---

(١) انظر: مقدمات في الثقافة الإسلامية: ٢٧، الثقافة الإسلامية تخصصًا ومادة وقسمًا علميًا: ١٣، المدخل إلى الثقافة الإسلامية: ١١.

المبحث الثاني

أهداف الثقافة الإسلامية

إن دراسة الثقافة الإسلامية في هذا العصر من الأهمية بمكان، وذلك للأهداف الجليلة التي يُرجى تحقيقها من خلال دراسة الثقافة الإسلامية، ولعلنا نجمل أهم تلك الأهداف بما يلي[1]:

١- تقديم تصور شامل للإسلام باعتباره منهج حياة كامل ومترابط، لاينفك بعضه عن بعض، ويؤثر كل جزء منه بالجزء الآخر، فالصلاة - مثلًا - ليست مجرد عبادة يؤديها المسلم في المسجد، ثم ينفك عنها، ولاتؤثر في سلوكه وعمله، بل هي عبادة يمتد تأثيرها إلى حياته اليومية، وتظهر آثارها على أخلاقه وتعاملاته، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥].

٢- تعريف المسلم بالعقيدة الصحيحة، وبيان أصول الدين الإسلامي التي تميزه عن الأديان كافة، فهي عقيدة سهلة لاغموض فيها، متجانسة لا تناقض فيه، تتوافق مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وتحقق للنفس البشرية حاجتها في الإيمان، وتعمق في الروح البشرية الطمأنينة والراحة النفسية.

٣- تبصير المسلم بما يحتاج إلى معرفته من أمور دينه، في عبادته ومعاملاته، ومن خلال هذه المعرفة يتضح للمسلم سمو تعاليم هذا الدين، فهو لا يكلف الإنسان إلا بما يطيق، ويحقق له المصلحة في الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة: ١٧، المدخل إلى الثقافة الإسلامية: ١٣.

٤- تعزيز الهوية الإسلامية، والانتماء للإسلام، وتقديمه على أي انتماء آخر، سواء أكان قبليًا أو عِرقيًا أو قومياً أو جغرافيًا، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة:٧١]، فالمسلم أخو المسلم مهما كان عرقه أو لونه أو بلده أو جنسيته.

٥- تبصير المسلم بالغزو الفكري، وبيان صوره وأساليبه، التي تهدف إلى إبعاد المسلم عن دينه، وتغريب المجتمعات الإسلامية بنشر الثقافة الغربية المخالفة للإسلام.

٦- تطبيق الأخلاق الإسلامية في حياة المسلم، كسلوك دائم يمارسه في سائر أعماله، واعتبار الأخلاق تطبيقًا عمليًا لتعاليم الإسلام، وأثر من أهم آثار عقيدة وعبادة المسلم التي يمارسها بشكل يومي.

٧- إيقاف المسلم على أثر الإسلام في حياته، فهو الذي يمده بالإيمان والفضائل والقيم، مما يعينه على مواجهة المصائب، ويحميه من الانحراف، ويزوده باليقين لإكمال مسيرة حياته، وتجاوز الصعاب.

٨- بيان موقف الإسلام من القضايا المعاصرة في شتى المجالات، بما يؤكد أن الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان، ولا يتعارض مع مصالح البشر، ولا يتناقض مع حقائق العلم اليقينية.

المبحث الثالث

مصادر الثقافة الإسلامية

للثقافة الإسلامية عدة مصادر يمكننا تقسيمها إلى نوعين: شرعية أصلية، ومعرفية:

أولاً: المصادر الشرعية الأصلية: وهي مصادر التشريع الأربعة المتفق عليها بين المسلمين.

١- القرآن الكريم

تعريفه[1]: هو «كلام الله المعجز، المنزَّل على محمد ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المُتعبَّد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس».

والقرآن الكريم هو أساس مصادر الثقافة الإسلامية، وأعظمها، ومنه تُستمد بقية المصادر، فهو كتاب الله الذي أنزله هداية للبشرية كافة، وهو الكتاب المبارك، والذكر الحكيم، والنور المبين، من تمسك به هُدي إلى صراط مستقيم، لمّا سمعته الجن، قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۞ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ١-٢].

خصائص القرآن الكريم: للقرآن الكريم خصائص عديدة، منها:

١- **الحفظ:** من أهم خصائص القرآن التي انفرد بها عن سائر الكتب السماوية أن الله تكفل بحفظه من التحريف والتبديل إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر].

٢- **الشمول:** فالقرآن الكريم حوى الأصول الجامعة لكل نُظم الحياة، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل]، كما أن القرآن جمع كل ما تفرق في الكتب السماوية السابقة من هدى وخير، ففي القرآن غُنْية عنها.

---

(١) انظر: التبيان في علوم القرآن: ٦، دراسات في علوم القرآن: ١٠.

٢- السنة النبوية

تعريفها(١): هي «كل ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة، أو سيرة».

فالسنة النبوية هي المصدر الثاني للثقافة الإسلامية، وهي تجسيد عملي للإسلام، وتطبيق واقعي لشعائره، وأخلاقه، أمرنا الله عز وجل أن نتأسى به في حياتنا، كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب].

خصائص السنة النبوية: للسنة النبوية خصائص عديدة، منها:

١- أنها وحي من الله: كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم]، ويترتب على هذا أنها حجة كالقرآن الكريم، يجب العمل بها.

٢- أنها بيان للقرآن الكريم: كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل:٤٤]، فالسنة النبوية مفسرة للقرآن الكريم، ومبينة لما جاء فيه مجملًا، كالصلاة التي جاء الأمر بها في القرآن، ولم تُبين مواقيتها وصفتها فجاء في السنة بيان ذلك.

أنواع السنة النبوية:

أ- السنة القولية: وهي كل ما أضيف للنبي ﷺ من قول.

ب- السنة الفعلية: وهي أفعال النبي ﷺ، كصلاته ووضوئه.

ج- السنة التقريرية: وهي ما أقره النبي ﷺ مما يقال أو يفعل بحضرته ﷺ.

د- الصفة النبوية: وهي إما صفة خَلْقية كهيئة شعره ﷺ، ولون بشرته، أو صفة خُلُقية كجوده ﷺ وكرمه وحيائه.

هـ- السيرة النبوية: وهي حياته ﷺ من ولادته حتى وفاته، وما يتضمن ذلك من أيامه

---

(١) انظر: فتح المغيث: ١/ ١٣.

وغزواته، وأزواجه وأولاده.

٣- الإجماع

وهو[١]: «**اتفاق المجتهدين من أمة النبي ﷺ، بعد وفاته، في عصر من العصور، على أمر من أمور الدين**».

والإجماع حجة شرعية عند المسلمين، يجب العمل به، وهو ثالث المصادر الشرعية، ومن الأدلة على حجيته:

أ) قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء]

ب) حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ اللهَ لاَ يَجْمَعُ أُمَّتِي - أَوْ قَالَ: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ - عَلَى ضَلاَلَةٍ، وَيَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ)[٢].

٤- القياس

وهو[٣]: «**إلحاق فرع بأصل في الحكم؛ لتساويهما في العلة**».

وقد اتفاق جمهور علماء المسلمين على حجية القياس؛ فإذا وقعت واقعة لم يرد لها حكم شرعي في القرآن والسنة والإجماع، ولها مثيل في الوقائع التي ورد لها حكم شرعي فيها، ألحقنا الواقعة الجديدة بها، ومن أمثلة ذلك: قياس المخدرات على الخمر في التحريم، فالفرع هنا: «المخدرات»، والأصل: «الخمر»، والحكم: «التحريم»، والعلة الجامعة بين الأصل والفرع: «إذهاب العقل»، فكما أن المخدرات تذهب العقل كالخمر، فيكون حُكْمُها كحُكْمِه، فنقول:

---

(١) انظر: المحصول: ٤/ ٢٠، روضة الناظر: ١/ ٣٧٦.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي: (٢١٦٧).

(٣) انظر: روضة الناظر: ٢/ ١٤١، البحر المحيط: ٧/ ٧.

«المخدرات محرمةٌ قياسًا على الخمر».

ثانيًا: المصادر المعرفية:

وهي جملة من المصادر التي تُمد الثقافة الإسلامية، وليست من مصادر التشريع، لكنها تُعد من روافد الثقافة الإسلامية، ومن المصادر التي ساهمت في بناء الثقافة الإسلامية.

والفرق بينها وبين المصادر الشرعية، أن المصادر المعرفية محكومةٌ بالمصادر الشرعية، فكل ما يُستمد منها يجب أن لا يخالف المصادر الشرعية، وأن ينضبط بضوابط الشريعة.

ويمكننا القول بأن المصادر المعرفية مصادرٌ كثيرة، ومتجددة، وسنذكر هنا أبرزها:

١- التاريخ الإسلامي

يعد تاريخ الأمة الإسلامية على مر العصور زاخر بالتجارب والخبرات، والمواقف والعظات، فهو سجل مفتوح لأعمال الأمة الإسلامة على مر العصور، وقد ساهم هذا التاريخ بتعزيز الثقافة الإسلامية، وإمدادها بالخبرة والمعرفة في شتى الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية؛ فلا غَرْوَ أن يكون التاريخ الإسلامي من أهم مصادر الثقافة الإسلامية.

ولعل من أبرز معالم التاريخ الإسلامي التي تخدم الثقافة الإسلامية سير العلماء والمصلحين، ومناهجهم في الحياة، والدعوات الإصلاحية التي قاموا بها؛ لتصحيح ما يطرأ من ضعفٍ في تاريخ الأمة، وانحرافٍ عن المسار الصحيح[1].

٢- التراث الإسلامي

ونعني بالتراث الإسلامي ما صنفه علماء المسلمين على مر العصور في شتى العلوم، فقد خلَّفوا لنا تراثًا هائلًا، هو عصارة علمهم، وفكرهم، وتجاربهم، سواء أكان ذلك في العلوم الشرعية، أو الأدبية، أو التربوية، أو غيرها، وتمثل هذه المصنفات موسوعات علمية أثْرَت

---

(١) انظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة ٥٦-٥٨.

الثقافة الإسلامية، وساهمت في بناء هذه الثقافة الأصيلة.

٣- اللغة العربية

أنزل الله ﷻ القرآن الكريم باللغة العربية، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ [يوسف:٢]، واختارها لتكون لغة الإسلام، فهي باقية إلى قيام الساعة؛ محفوظة بحفظ الله ﷻ للقرآن الكريم، بينما بقية اللغات تندثر، وتتبدل، واللغة العربية ثابتة لا تتغير.

واللغة لها دور كبير في حياة الإنسان، فهي طريق التواصل بين البشر، والتعبير عن الفكر والمعرفة، فمن أراد فهم ثقافة قوم لابد له من تعلم لغتهم، واللغة العربية هي الطريق إلى فهم الإسلام، ومن ثم كانت اللغة العربية مصدراً مهمًا للثقافة الإسلامية[1].

٤- الخبرات الإنسانية النافعة

الثقافة الإسلامة ثقافة غير منغلقة على ذاتها، بل هي ثقافة تستفيد من الخبرات الإنسانية النافعة، فقد استفاد علماء المسلمين من نتاج الأمم الفكري والحضاري والعلمي، والذي لا يتعارض مع الإسلام، ولم يتوقف علماء المسلمين على الاستفادة المجردة، بل ساهموا بتطوير ذلك النتاج الأممي، والرقي به، ذلك أن المسلم ينبغي عليه أن لا يقف عند ما وصل إليه الآخرون، بل يسعى للتطوير والرقي بالعلم والفكر والحضارة[2].

---

(١) انظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة: ٦٢- ٦٣.

(٢) انظر: الوافي في الثقافة الإسلامية: ٣٩.

المبحث الرابع

خصائص الثقافة الإسلامية

تعد الثقافة الإسلامية ثقافة متميزة عن سائر الثقافات، وسبب تميز الثقافة الإسلامية عن غيرها تلك الخصائص التي انفردت بها، وسنذكر هنا أهم تلك الخصائص[١]:

١- الربانية

الثقافة الإسلامية تستمد أصولها العقدية والعملية والأخلاقية من الكتاب والسنة، وهو الوحي الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فدين الله سالمٌ من النقص والتعارض، بينما سائر الثقافات الأخرى هي من وضع البشر، فيعتريها النقص والتناقض، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء].

وهذه الخصيصة من أهم خصائص الثقافة الإسلامية، ومنها تنبثق بقية الخصائص.

ومن أهم فوائد هذه الخصيصة:

أ) أن المسلم لديه تصور واضح عن القضايا الكبرى التي تشغل فكر الإنسان، كمعرفة الخالق عز وجل، والعوالم الأخرى كعالم الملائكة، وعالم الجن، وأصل البشر، وبداية الخلق، ونهايته، وذلك أن القرآن والسنة قد بينا ذلك بيانًا شافيًا، بينما نجد أصحاب الثقافات الأخرى في حيرة من أمرهم تجاه كثيرٍ من تلك القضايا.

ب) أن الثقافة الإسلامية تتوافق وحاجات الإنسان وقدراته، فالإسلام يلبي مطالب النفس البشرية، ولا يكلفها إلا بما تُطيق، فالله ﷻ أعلم بما يصلح عباده كما قال سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك].

---

(١) انظر: لمحات في الثقافة الإسلامية: ٦٣، نحو ثقافة إسلامية أصيلة: ٦٨.

٢- الوسطية:

الثقافة الإسلامية ثقافة تتميز بالوسطية، فأمة الأسلام أمةٌ وسطيةٌ، كما قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، فهي أفضل الأمم وأعدلها، وهي أمة وسط بين اليهود الذين طغى عليهم التفريط فآذوا الأنبياء، وقتلوهم، وبين النصارى الذين طغى عليهم الغلو فألَّهوا المسيح ابن مريم، والروح القدس.

ودين الاسلام دين وسط، ومن معاني وسطيته أنه يوازن بين مطالب الجسد والروح، ويوازن بين حاجات الفرد في الدنيا والآخرة، ، فكما أن المسلم مأمور بالسعي للآخرة، والعمل لها، ينبغي عليه أن لا ينسى نصيبه من الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [القصص:٧٧].

ومن مظاهر وسطية الإسلام وتوازنه أنه يراعي مصلحة الفرد والمجتمع، ولا يُغلِّب جانبًا على جانب، فلا يُغلِّب مصلحة الفرد على مصلحة المجتمع كالثقافة الرأسمالية، ولا يُغلِّب مصلحة المجتمع على مصلحة الفرد كالاشتراكية.

٣- الشمول:

ونعني بالشمول هنا أن الإسلام الذي قامت عليه ثقافتنا الإسلامية عُني بكافة جوانب الحياة، فسن لها شرائعَ تُصلِحها، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل:٨٩].

فالشريعة الإسلامية شاملة للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، ولا يمكن لأحد أن يدعي أن الشريعة لم تضع من القواعد والضوابط ما تصلح به أي جانب من جوانب الحياة البشرية.

وهذا يدل على أن الإسلامَ دينٌ صالحٌ لكل زمان، فكل ما يستجد في الحياة نجد أن

الشريعة قد وضعت من القواعد والضوابط ما يُبين للمسلم ما يتعلق به من أحكام.

كما أن الإسلامَ دينٌ صالحٌ لكل مكان، فأي بلد في الشرق أو الغرب يُحكِّم الإسلام يجد أنه الدين الأصلح له، وأن الشريعة الإسلامية تُلبي مطالبه، وتُصلح أحواله، وتُنظم مجتمعاته، وتحقق لأفراده مصالحهم المشروعه، المسلم منهم والكافر، فالإسلام يحفظ للمسلم ولغيره حقوقه، ولا يُظلم أحدٌ في مجتمع يَحكُم بالشريعة الإسلامية، ولو كان من غير أهلها.

ومن أهم مظاهر شمول الشريعة أيضًا أنها تصحب المرء في كل مراحل حياته، بل وقبل ولادته، فلكل مرحلة أحكام معينة تُشرع للمسلم وجوبًا أو استحبابًا.

٤- الواقعية

واقعية الثقافة الإسلامية مبنية على واقعية التشريع الإسلامي، ويبين ذلك ما رواه أنس عن النبي ﷺ أنه قال: (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)(١)، فالإسلام يتعامل مع المسلم بطبيعته البشرية، فهو ليس بمعصوم، قد يعتريه ضعفٌ في الإيمان فيقع في الخطأ، فلا يُقفل الباب في وجهه، بل يفتح له باب التوبة والرجوع لربه، ولا يعتبر وقوعه في الزلل وصمة عار يجب أن يُعيَّر بها إذا تاب لربه وأناب، بل تناله الخيرية بالتوبة.

كما أن الشريعة تُراعي جانب المرض وضعف القوة الذي يعتري الإنسان في أحواله المختلفة، وفي مراحل عمره المتعددة، فيُخفف عنه بحسب حاله، فيشرع للمسلم في السفر -وهو مَظِنة التعب- قصر الصلاة وجمعها، والمريض يصلي بحسب حاله ولو على جنبه، بل إن بعض الأحكام نسخت مراعاة لضعف الإنسان، كما قال: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ﴾ [الأنفال: ٦٦].

---

(١) حسن: الترمذي: (٢٤٩٩)، وابن ماجه: (٤٢٥١).

٥- العالمية

من أهم خصائص الثقافة الإسلامية كونها عالمية، ونعني بذلك أنها ثقافة للبشر كافة، لا تخص جنسًا دون آخر، ولا قومية دون أخرى، فالإسلام دين الله الذي ارتضاه للناس كافة، كما قال النبي ﷺ: (كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً)(١).

فالإسلام دين عالمي شرعه الله للبشر كافة، فهو ليس دينًا خاصًا بالعرب الذين نزل القرآن بلسانهم، ولا يتميز العرب عن غيرهم في مقاييس هذا الدين؛ لأن الإسلام ينظر إلى الناس كافة بمقياس واحد لا تُؤثر عليه لغة أو جنس أو لون أو عنصرية، بل التمايز في هذا الدين مقياسه التقوى، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ولذا يفخر المسلمون بعلمائهم الذين يمثلون أممًا مختلفة، وشعوبًا متنوعة، ولم يغض من قدر أي عالم عند المسلمين أصله أو لونه أو لُغته، وهنا نحن نرى أئمة كبار من أئمة الإسلام الذين نفاخر بهم ليسوا من أصول عربية، فالبخاري صاحب الصحيح، من مدينة بخارى في أوزباكستان الحالية، وأصله من الأوزبك، وقد تلقت الأمة كتابه بالقبول، فأصبح أصح كتاب بعد كتاب الله ﷻ، وغيره كثير من العلماء الذي علا شأنهم، وجل قدرهم بين المسلمين، وهم من غير العرب.

وتأكيداً لهذا المبدأ خطب النبي ﷺ في حجة الوداع فقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى)(٢).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري: (٤٣٨)، ومسلم: (٥٢١)، واللفظ للبخاري.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم: (٢٢٢٩).

٦- الإيجابية

إيجابية الثقافة الإسلامية تنطلق من دعوة الإسلام للعمل والجد، وذم الفساد والمفسدين، فالإسلام ينهى عن الفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٧٧﴾[القصص]، ولا يتوقف عند ذلك بل يدعو لعمارة الأرض وإصلاحها، ويشمل ذلك العمارة الحسية، والعمارة المعنوية المتمثلة بعبادة الله ﷻ، والإحسان للخلق كافة.

وفي قول النبي ﷺ: (إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا)[١]، أعظم صور الإيجابية التي تتجسد في الثقافة الإسلامية، وحث الإسلام على البناء والإصلاح.

ومن مظاهر إيجابية الثقافة الإسلامية النظرة المتفائلة للحياة، فالمسلم لا ييأس ولا يقنط إذا أصابه ضُرٌّ، أو وقعت له مصيبةٌ، بل هو يؤمن بقول النبي ﷺ : (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)[٢]، ولذا نجد أن المؤمن متفائلٌ دائمًا حتى في حال الضراء، بينما نجد غير المسلمين إذا أصابتهم مصيبةٌ، أو خسارةُ مالٍ أو وظيفةٍ، أو مرضٌ عُضالٌ ربما لجأ للانتحار يأسًا وقنوطًا، فكثرت حالة الانتحار في المجتمعات الغربية، بينما لا تجد ذلك في المجتمعات الإسلامية، وما نراه بين المسلمين من حالات انتحار ـ وهو قليل ـ فبسبب البعد عن تعاليم الإسلام، وضعف الإيمان.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد: (١٢٩٠٢).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد: (٢٣٤٨٩).

المبحث الخامس

موقف الثقافة الإسلامية من الثقافات الأخرى

خلق الله الإنسان اجتماعيًا بطبعه، يتواصل مع غيره، وكذا الأمم تتواصل مع غيرها، فتلتقي ثقافاتها، وتؤثر بعضها في بعض، ومع سهولة الاتصالات والمواصلات في عصرنا الحاضر اقتربت الأمم من بعضها، وأصبح العالم كقرية واحدة، وأصبح تأثير الثقافات أقوى، ونحن المسلمون نملك ثقافة أصيلة، تختص بجملة من الخصائص الفريدة التي تمتاز بها عن بقية الثقافات، فهل نكتفي بثقافتنا، وننغلق عليها، أم نستفيد من الثقافات الأخرى؟

إننا إذا استحضرنا ما سبق ذكره في مصادر الثقافة، ومنها «**الخبرات الإنسانية النافعة**»، وكذا ما أوردناه من خصائص الثقافة الإسلامية، ومنها «**الإيجابية**»، تبين لنا موقف الثقافة الإسلامية من الثقافات الأخرى، ويمكن تلخيص هذا الموقف بأمرين:

الأول: أن الثقافة الإسلامية ثقافة إيجابية، ومن صور إيجابيتها أنها تستفيد من خبرات الأمم النافعة، ومن الثقافات المختلفة، بما لايتعارض مع الإسلام، وخاصة ما يتعلق بالعلوم الحديثة التي تقدمت بها بعض الثقافات الأخرى، كعلوم الطب، وعلوم التقنية والمعلومات، وغيرها؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من كل أحد ما لم تعارض الإسلام[1].

الثاني: أن الثقافة الإسلامية توجب على المسلمين التمسك بدينهم، والاعتزاز بالفكر الإسلامي الأصيل، والالتزام بثوابت الإسلام في العقيدة والعبادة والأخلاق، فالإسلام هدانا لأفضل عقيدةٍ، وأحسن شريعةٍ، وخير خُلُقٍ مما لا يمكن أن يوجد في الثقافات الأخرى.

---

(١) انظر: مدخل إلى الثقافة الإسلامية: ٤٠، لمحات في الثقافة الإسلامية: ١١٢.

ويوضح الإمام الشنقيطي هذا الموقف بقوله: «الموقف الطبيعي للإسلام والمسلمين من الحضارة الغربيَّة هو أن يجتهدوا في تحصيل ما أنتجته من النواحي المادِّيَّة، ويحذروا مما جَنَتْهُ من التَّمرُّدِ على خالق الكون ﷻ، فتَصْلُح لهم الدنيا والآخرة، والمؤسف أن أَغْلَبَهُمْ يعكسون الْقَضِيَّةَ، فيأخذون منها الإِنْحِطَاطَ الْخُلُقِيَّ، وَالانسلاخ من الدِّين، وَالتَّبَاعُدَ من طاعة خالق الكَوْنِ، ولا يَحْصُلُونَ على نتيجة مما فيها من النَّفْعِ الْمَادِّيِّ»[١].

وخلاصة موقف الثقافة الإسلامية من الثقافات الأخرى أن الثقافة الإسلامية تتواصل مع الثقافات الأخرى بشكل إيجابي، وتستفيد منها بما لا يتعارض مع الإسلام، مع تأكيدها على ضرورة التمسك بثوابتها، والاعتزاز بدينها، وتلقي العقيدة والعبادة والأخلاق من مصادر الثقافة الإسلامية، وعدم التأثر بالثقافات الأخرى تأثرًا سلبيًا.

وهنا يجب التحذير من مواقف قد يتبناها بعض المسلمين تجاه الثقافات الأخرى، وهي مواقف سلبية، لا تمثل الموقف الصحيح للثقافة الإسلامية تجاه الآخرين، ومن تلك المواقف[٢]:

١- موقف القبول والذوبان الذي يدعو لقبول كل ما جاءت به الثقافة الغربية دون تمييز.

٢- موقف الرفض والمقاطعة لكل ما يأتي من الثقافات الأخرى، ولو كان نافعًا، وغير متعارض مع الإسلام.

٣- موقف التلفيق القائم على التقريب بين الثقافة الإسلامية وغيرها بطريقة تسيء للثقافة الإسلامية، وتنسب إليها ما لا يتوافق معها.

وجميع هذه المواقف لا تعبر عن المنهج الصحيح، والاتجاه المتزن للثقافة الإسلامية تجاه الثقافات الأخرى.

---

(١) أضواء البيان: ٣/ ٥٠٦.

(٢) انظر: الثقافة الإسلامية: ٩٢-١٠٠، المدخل إلى الثقافة الإسلامية: ٣٦-٣٧.

المبحث السادس

موقف الثقافة الإسلامية من الغزو الفكري

أولاً: مفهوم الغزو الفكري

المقصود بالغزو الفكري هنا [١]: «الجهود الفكرية المنظمة، التي يبذلها أعداء الإسلام؛ لصد الأمة الإسلامية عن دينها في العصر الحديث».

و التعبير بلفظ «الغزو» عن كيد أعداء الأمة في هذا العصر مناسب لطبيعة ذلك الكيد، وذلك أن تلك الجهود التي يبذلها أعداء الإسلام هي جهود منظمة تستهدف صد المسلمين عن دينهم، والهيمنة الثقافية والفكرية عليهم؛ لإضعافهم عسكريًا وسياسيًا واقتصاديًا، ويمكن وصف ذلك الغزو بـ«الحرب الفكرية»؛ لأنه يستهدف الثقافة الإسلامية.

والغزو الفكري «أخطر من الغزو العسكري؛ لأن الغزو الفكري ينحو إلى السرية وسلوك المسارب الخفية في بادئ الأمر، فلا تحس به الأمة المغزوة، ولا تستعد لصده والوقوف في وجهه حتى تقع فريسة له، وتكون نتيجته أن هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس، تحب ما يريده لها عدوها أن تحبه، وتكره ما يريد منها أن تكرهه.

وهو داء عضال، يفتك بالأمم، ويُذهب شخصيتها، ويُزيل معاني الأصالة والقوة فيها، والأمة التي تُبتلى به لا تُحس بما أصابها، ولا تدري عنه، ولذلك يصبح علاجها أمرًا صعبًا، وإفهامها سبيل الرشد شيئًا عسيرًا»[٢].

---

(١) انظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام: ٧، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية: ١/ ١٣٩.

(٢) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز: ٣/ ٣٣٨، وانظر أيضًا: ٣/ ٤٣٨.

ثانياً: وسائل الغزو الفكري:

١- الاستشراق:

الاستشراق هو (١): «دراسات يقوم بها غربيون للشرق الإسلامي من شتى الجوانب الدينية والتاريخية والاجتماعية بهدف تشويه الإسلام، وتشكيك المسلمين في دينهم».

وقد عكف جمعٌ من الغربيين على دراسة كل ما يتعلق بالإسلام، ولم يكن الدافع لهذه الدراسات البحث عن الحقيقة، بل كانت موجهة للطعن في الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين في دينهم، ولهذا نجد أنهم يحاولون النيل من النبي ﷺ، وادعاء أنه تأثر بما رآه في الكنائس المسيحية في سفره لبلاد الشام مع عمه، وتأثر بالديانة اليهودية التي كانت موجودة آنذاك في جزيرة العرب فجاء بدين مستمد منه الديانتين(٢)، كما يوجهون الطعن لأصحاب النبي ﷺ، ومن أكثر من تعرض للطعن من قبلهم أبو هريرة رضي الله عنه؛ لأنهم يعلمون أنه من أكثر الصحابة رواية عن النبي ﷺ، فإذا تمكنوا من الطعن فيه اسقطوا كل ما رواه من الأحاديث عن النبي ﷺ، وقد بين المستشرق النمساوي «ليوبولد فايس» الذي أسلم بَعْدُ، وسمى نفسه «محمد أسد»، حيث قال: «أمّا تحامل المستشرقين على الإسلام فغريزة موروثة، وخاصّةٌ طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلفتها الحروب الصليبية بكل ما لها من ذيول في عقول الأوربيين الأولين» (٣).

كما أن الاستشراق يُعد أداة لخدمة الاستعمار والتنصير، فالمستشرقون يهيئون للاستعمار والتنصير الوسائل والسبل التي من خلالها ينفذون للعالم الإسلامي، ويعرفون مواقع

---

(١) انظر: رؤية إسلامية للاستشراق: ٩، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ٢/ ٦٩٧، و٢/ ٧٠٦.

(٢) انظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة: ١٤٤ -١٤٧.

(٣) الاسلام على مفترق الطرق: ٦٣.

الضعف عند المسلمين، يقول المستشرق الألماني «مراد هوفمان» الذي أسلم: «مارس أكثر العلماء -يعني من المستشرقين- أبحاثهم لخدمة المصالح الاستعمارية، وإخضاع العالم الإسلامي للغرب، سواء كان ذلك بوعي أو بدون وعي، وعمل قليل منهم عملاء سريين بكل معنى الكلمة»(١).

ويقول «محمد أسد» أيضًا: «والواقع أن المستشرقين الأولين في الأعصر الحديثة كانوا مبشرين منصرين يعملون في البلاد الإسلامية، وكانت الصورة المشوهة التي اصطنعوها من تعاليم الإسلام وتاريخه مدبرة على أساس يضمن التأثير في موقف الأوربيين» (٢).

«لقد أدرك المستشرقون بأن مخططاتهم فُضحت، وأهدافهم كُشفت، وأصبح كثير من أبناء المسلمين يعلم حقيقتهم، ويمقت أفعالهم وصنائعهم، فتنادوا للبحث عن طريقة يحسنون بها من صورتهم الكالحة، بحيث يبقى المكر، ويَخِف العداء، فعقدوا آخر مؤتمر تحت مسمى «الاستشراق» بباريس عام ١٩٧٣م، واتفقوا على تغيير المسمى إلى: «المؤتمر العالمي للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال إفريقيا»، فغيروا التسمية مع الإبقاء على المضمون والأهداف، ومن هنا نعلم أن الاستشراق لم ينتهِ، فتغيير الاسم لا يغير حقيقة المضمون»(٣).

---

(١) الاسلام كبديل: ١٣٦.

(٢) الاسلام على مفترق الطرق: ٦٣.

(٣) نحو ثقافة إسلامية أصيلة: ١٥٥-١٥٧ باختصار وتصرف.

٢- التنصير:

التنصير هو[١]: «حركة دينية سياسية استعمارية، بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية، بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة، وبين المسلمين بخاصة؛ بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب».

ومن خلال التعريف يتضح لنا أن التنصير حركة لها أهداف دينية وسياسية، نشأت بعد فشل الحروب العسكرية التي تعرضت لها بلاد المسلمين، فتوجهوا إلى الغزو الفكري؛ لتحقيق الأهداف التي فشل الغزو العسكري في تحقيقها.

فالتنصير حركة منظمة، تدعمها دول وجمعيات تنصيرية، تقوم بجهود منسقة؛ لتحقيق الأهداف المنشودة، تحت مظلة ما يسمى بـ«التبشير»، يقول القس سيمون: «إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية، وتساعد على التملُّص من السيطرة الأوروبية، والتبشير عامل مهمٌّ في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نُحَوِّلَ بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية»[٢].

ويقول القس صموئيل زويمر: «يجب إقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم، وتبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم، ومن بين صفوفهم؛ لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها»[٣].

والهدف الأسمى للتنصير ليس هداية المسلمين للنصرانية، بل السيطرة عليهم، وإضعافهم، ولذا قال صموئيل زويمر كذلك في مؤتمر القدس التنصيري عام ١٩٣٥م:

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ٢/ ٦٧٥.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ٦٧٨.

(٣) المصدر السابق: ٢/ ٦٧٩.

«مهمة التبشير التي ندبتكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام؛ ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له بـالأخلاق، التـي تعتمـد عليهـا الأمـم في حياتها»(١).

ومن أهم وسائل التنصير(٢):

١- تقديم الخدمات الطبية والصحية بهدف التنصير، وبناء المستشفيات والمراكـز الطبيـة، وبعث الإرساليات الطبية؛ لعلاج فقراء المسلمين تحت مظلة الحملات التبشيرية.

٢- تقديم التعليم، وبناء المدارس والجامعات الغربية التي تسهل التنصير في بلاد المسلمين، والاستفادة من ابتعاث المسلمين إلى بلادهم للتشكيك في دينهم، والتأثير عليهم.

٣- توجيه الإعلام المكتوب والمسموع والمرئي لخدمة الأهداف التنصيرية.

٤- استغلال الكوارث والحروب، وتقديم المساعدات الإنسانية التي تحسن صورتهم.

٥- تشويه صورة الإسلام، واتهامه بالرجعية والهمجية والإرهاب.

---

(١) المصدر السابق: ٢/ ٦٧٩.

(٢) انظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة: ١٢٨-١٣١.

٣- الإعلام:

وهو من أخطر وسائل الغزو الفكري، فقد استغل الغرب وسائل الإعلام لنشر الثقافة النصرانية، والقيم الغربية المنحلة، وتشويه صورة الإسلام، والطعن في عقيدة المسلمين وشريعتهم.

إن استغلالهم للإعلام لم يتوقف عند ما يقومون بنشره بأنفسهم، بل استفادوا من أبناء المسلمين الذين انجروا خلفهم عن وعي، أو عن غير وعي، فساهموا في نشر الأفكار الغربية التي تخدم أعداء الدين، وتشوه القيم الإسلامية، فالمتأمل في وسائل الإعلام العربية، والقنوات الفضائية يجد أنها تتلقى كثيرًا من برامجها من الإعلام الغربي، ثم تقوم بنشرها دون مراجعة لما فيها من مضامين، كما تقتبس أفكار الإعلام الغربي في بناء برامجها الخاصة، فتأتي محملة بالفكر الغربي الذي يدعو للإنحلال الأخلاقي، والتفكك الأسري، بالإضافة على ما تحويه من مخالفات للعقيدة والشريعة، وتشويه لتعاليم الإسلام.

كما أن القنوات الفضائية تنافست في بث الأفلام والمسلسلات التي تغرس في نفوس المسلمين العقائد الفاسدة، والأفكار المنحرفة، حتى أصبحت بعض الأفكار التي تبثها تلك المسلسلات من المسلَّمات لدى فئة كبيرة من مشاهديها، فأصبح تعدد الزوجات يسمي خيانة زوجية، والزنا حب، والعلاقات المحرمة صداقات، والخمر مشروب روحي، وهَلُمَّ جَرًّا.

وأصبح المفسدون لأخلاق المجتمع الإسلامي يشار إليهم بالبنان، ويوصفون بكونهم أهل الثقافة والفن، ويعتبرهم آخرون صفوة المجتمع، وهم من يُسْهِم بالترويج للغزو الفكري الذي يقوم به أعداء الأمة، فقد استخدمهم الأعداء كأدوات لتنفيذ مخططاتهم لتغريب المجتمع الإسلامي، وتشويه مفاهيم المسلمين.

إننا بحاجة ماسة لإعلام نظيف وهادف، يسعى لتعزيز الهوية الإسلامية في نفوس أبنائها، وغرس القيم الفاضلة التي أتى بها الإسلام، والحفاظ على عقيدة المسلمين وأخلاقهم.

٤- العولمة:

إن مصطلح «العولمة» مصطلح جديد كثر استعماله، واختلفت تفسيراته من الباحثين بحسب اهتماماتهم، ولإعطاء تصور شامل عن هذا المصطلح يمكننا تعريفه بأنه:

«فرض الهيمنة الغربية على العالم، في مناحي الحياة كافة، السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها».

فهي بسط لهيمنة العالم الغربي على غيره، نتيجة تقدمه العلمي والتقني، وتفوقه السياسي والاقتصادي، ولا نعني بالعولمة هنا ثورة المعلومات التي جعلت العالم قرية واحدة، وسهلت عمليات التواصل في إنحاء المعمورة، وما يتبع ذلك من تقنية المعلومات[(١)].

فالعولمة في حقيقتها استعمار مبطن للشعوب، يقول «ريتشارد هبوت»: «العولمة هي ما اعتدنا أن نطلق عليه في العالم الثالث ولعدة قرون اسم: الاستعمار»[(٢)].

«إن فرض العولمة على العالم الإنساني بأسره نابع من نظرة استعلائية فوقية من الغرب باتجاه شعوب العالم كلها»[(٣)]، فهل العالم بحاجة إلى الثقافة الغربية المنحلة، أو الحياة الاجتماعية المتفككة؟! وهل شعوب العالم لا تمتلك من النظم ما يفوق تلك النظم الغربية؟!

إن المتأمل لأحوال العالم الغربي في الحياة الاجتماعية والأسرية والأخلاقية يرى تردي تلك الأحوال، فقد وصل بهم الانحطاط الأخلاقي إلى تشريع الزواج المثلي، وتقنين الدعارة، وأضحت الخيانة الزوجية متنشرة بين الأزواج، وفشل الأباء في تربية أبنائهم، وأصبحت الأسر تعاني من التفكك والضياع، وانتشرت المخدرات والسرقة والاغتصاب

---

(١) إن قصر معنى العولمة على ثورة المعلومات التي سهلت التواصل بين العالم هو مفهوم خاطئ؛ وقد ساهم ترويج هذا المفهوم في قبول العولمة بصورها المختلفة.

(٢) نحو ثقافة إسلامية: ١٦٠.

(٣) المصدر السابق: ١٥٨.

بشكل يفوق العادة، فهم بحاجة إلى من يصلح لهم حياتهم، لكنهم قوم لايعلمون.

إن تفوق الغرب التقني والسياسي أغرى ذلكم العالم ببسط سيطرته على غيره، وجَهِل، أو تجاهل أن المسلمين يمتلكون من النظم المستمدة من الإسلام ما يفوق النظم الغربية، ويحقق للبشرية أفضل سُبل الحياة في الدنيا، والفوز في الآخرة.

ففي الجانب السياسي يريد الغرب نشر الديمقراطية في بلاد المسلمين، وهي نظام سياسي لا يحقق العدالة التي ينادون بها، فهو يُغلِّب مصلحة الأغنياء على الفقراء، فهم من يستطيع الترشح للمناصب، واستلام زمام الحكم، وأما الفقراء فهم غير قادرين على ذلك، كما أن نظام الانتخاب في الديمقراطية يسوي بين العالم والجاهل في حق التصويت، وليس في هذا شيء من العدالة، فالديمقراطية في حقيقتها وجه آخر للرأسمالية بكل ما فيه من عيوب، فهما وجهان لعملة واحدة [1].

وأما في الجانب الاجتماعي والأسري فالعولمة تفرض على العالم النظام الغربي الذي يبيح الزنا باعتباره حقًا من حقوق الأفراد التي يجب أن تسعى جميع البلدان لتوفيرها، ويشرع اللواط والمثلية الجنسية باعتبارها حرية شخصية، ويمنع تعدد الزوجات، إلى غير ذلك مما يخالف الشريعة، ويدعو للانحلال والتفسخ كما هو مشاهد في تلك المجتمعات[2].

فالعولمة هي الوجه الآخر للتغريب، ولعل من أعظم ما يبين خطورة العولمة أن الغرب يريد فرضها على العالم، ولا يجعل للأمم الأخرى حرية الاختيار في ذلك، فكيف ينادي بالديمقراطية، ثم لا يلتزمها! بل يسعى للضغط على الدول التي لا تستجيب لمتطلبات العولمة من منظورهم، ويحدد مواعيد معينة لتطبيق ما يريد من تلك المتطلبات، وعدم تجاوز تلك المواعيد.

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان: ٢/ ٩٢٤.

(٢) انظر: مخاطر العولمة على الهوية الثقافة: ٢٧.

ثالثاً: آثار الغزو الفكري[1]:

للغزو الفكري الذي عانت منه الأمة الإسلامية آثار عديدة منها:

١- زعزعة الإيمان في نفوس بعض المسلمين، والتشكيك في العقيدة والشريعة، وبث الشبهات التي تساعد على ذلك.

٢- تحطيم الأخلاق الإسلامية التي تدعو للعفاف والستر، ونشر قيم غربية تروج للانحلال والفساد بدعوى الحرية الشخصية.

٣- العمل على إفساد المرأة؛ لتكون سلعة مشاعة للجميع، بدعوى تحريرها، والرقي بشأنها، وإنصافها من الظلم والتعسف الواقع عليها.

٤- نشر الفرقة بين المسلمين، والدعوة للقوميات المختلفة؛ لتأصيل الخلاف بين المسلمين، والحيلولة دون اجتماع المسلمين تحت مظلة الوحدة الإسلامية.

٥- نشر المذاهب الهدامة والأفكار الملحدة، وتشجيع الطعن في الإسلام، وفي الذات الإلهية، وفي النبي ﷺ بدعوى تحرير الفكر، وإثراء الأدب.

٦- تشجيع العلمانية، والفصل بين الدين وشؤون الحياة، والترويج لحصر الدين في المسجد والعبادة فقط، وأما باقي شؤون الحياة فلا تخضع لأحكام الدين.

٧- تشجيع التحاكم إلى القوانين الوضعية، وإقصاء تحكيم الشريعة الإسلامية.

٨- تغريب المجتمعات الإسلامية، وطبعها بالطابع الغربي، وإيهام الناس بأن ذلك علامة على التقدم والرقي، وتصوير المتمسك بالإسلام على أنه رجعي، وعدو للتقدم والرقي، حتى لا يتجرأ أحد على التحذير من التغريب.

---

(١) انظر: تحصين المجتمع الإسلامي ضد الغزو الفكري، مجلة الجامعة الإسلامية العدد (١٢١): ص٣٦٤.

رابعًا: سبل تحصين الأمة الإسلامية من الغزو الفكري[1]:

١- تحصين أفراد الأمة الإسلامية بالإيمان، والعقيدة الصحيحة، والتمسك بها، والتزام الإسلام قولًا وعملًا.

٢- تعريف أبناء الأمة الإسلامية بالغزو الفكري، ووسائله، وأساليبه.

٣- توعية المسلمين بآثاره الخطيرة على المجتمع المسلم.

٤- الاهتمام باللغة العربية، فهي لغة القرآن الكريم، وسبب من أهم أسباب اجتماع المسلمين، وتوحيدهم، فيجب عدم الانجرار خلف من يسعى لنشر اللغة الإنجليزية في بلاد المسلمين متذرعًا بأنها اللغة العالمية التي يجب أن تسود.

٥- الاهتمام بالإعلام، وتوجيهه لتعزيز الهوية الإسلامية، وعدم التبعية للإعلام الغربي، وتلقف ما ينتجه الغرب من مواد إعلامية تسهم في الغزو الفكري، والسعي لئن يكون الإعلام الإسلامي مؤثرًا لا متأثرًا.

٦- الاهتمام بالتعليم في جميع المراحل، وتوعية النشء بالغزو الفكري عن طريق المناهج الدراسية، وتعزيز المفاهيم الإسلامية في نفوس الأبناء.

٧- الاهتمام بالمرأة المسلمة، وتوعيتها بمخاطر الغزو الفكري الذي يستهدفها.

٨- إقامة المؤتمرات والندوات والمحاضرات التي تعزز الهوية الإسلامية، وتُبين مخاطر الغزو الفكري، وكل ما يستجد من وسائله وأساليبه.

---

(١) انظر: المرجع السابق: ٣٦٧.

الفصل الثاني

العقيدة الإسلامية

المبحث الأول: تعريف العقيدة الإسلامية، وبيان أهميتها .

المبحث الثاني: معرفة التوحيد، وبيان أقسامه .

المبحث الثالث: بيان ما يضاد التوحيد وينافي كماله .

المبحث الرابع: تعريف الإيمان.

المبحث الخامس: أركان الإيمان.

المبحث السادس: نواقض الإيمان.

المبحث السابع: مسائل في العقيدة.

المبحث الأول

تعريف العقيدة الإسلامية وبيان أهميتها

١- تعريف العقيدة في اللغة:

العقيدة في اللغة مأخوذة من العقد، وهو الربط والإحكام والشد بقوة [١].

٢- تعريف العقيدة الإسلامية في الاصطلاح:

هي[٢]: «الإيمان الجازم بالله، وبما يجب له من التوحيد، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وما يتفرع عنها من أصول الدين وأمور الغيب».

٣- أهمية العقيدة الإسلامية:

للعقيدة الإسلامية أهمية بالغة يمكن بيانها من خلال ما يلي[٣]:

١- أن العقيدة الصحيحة هي دعوة الرسل جميعًا، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء].

٢- أن قبول الأعمال متوقف على تحقيق التوحيد، وتصحيح العقيدة، وتنقيتها من الشرك، فمن وقع في الشرك الأكبر حبط عمله، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان].

٣- أن الغاية من خلق الجن والإنس تحقيق التوحيد، وإفراد الله بالعبادة، كما قال الله تعالى:

---

(١) انظر: مادة (عقد) في: لسان العرب: ٣/ ٢٩٦، القاموس المحيط: ٣٠٠.

(٢) انظر: العقيدة الصحيحة وما يضادها: ٣، تسهيل العقيدة الإسلامية: ١.

(٣) انظر: مدارج السالكين: ٣/ ٤١١، عقيدة التوحيد: ٩.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات].

٤- أن العقيدة الصحيحة هي حق الله على عباده، كما قال ﷺ: (إِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)(١).

٥- أن دخول الجنة متوقف على تصحيح العقيدة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝٧٢﴾ [المائدة].

٦- أن العقيدة الإسلامية تجيب على جميع التساؤلات التي ترد على عقل الإنسان، كمعرفة الخالق ﷻ، وصفاته ﷻ، وكيفية نشأة العالم، وبدايته، ونهايته، وحقيقة بعض المغيبات كالملائكة والجن، وغير ذلك.

٧- أن العقيدة الصحيحة تحقق للعبد السعادة، والطمأنينة في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام]، فالمؤمن في راحة وطمأنينة في الدنيا؛ لأنه عرف ربه، وأيقن بأن كل ما يحصل له هو من تقدير الله الحكيم العليم، فلا يجزع عند المصيبة، ويشكر الله عند النعمة، وفي الآخرة يفوز المؤمن بالجنة، والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٣٥].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري: (٢٨٥٦)، ومسلم: (٣٠).

المبحث الثاني

معرفة التوحيد

١- تعريف التوحيد لغة

التوحيد في اللغة مصدر وحَّد، وهو أصلٌ يدل على الانفراد [(١)].

٢- تعريف التوحيد اصطلاحاً

هو: «إفراد الله ﷻ بما يختص به من الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات»[(٢)].

٣- أقسام التوحيد

ينقسم إلى ثلاثة أقسام[(٣)]:

١- توحيد الربوبية.

٢- توحيد الأسماء والصفات.

٣- توحيد الألوهية.

«وقد اجتمعت في قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ۝٦٥﴾ [مريم]»[(٤)].

---

(١) انظر: مادة (وحد) في: معجم مقاييس اللغة: ٦/ ٩٠، لسان العرب: ٣/ ٤٤٨.

(٢) القول المفيد لابن عثيمين: ١/ ١١.

(٣) قسم ابن القيم التوحيد إلى قسمين: ١- توحيد المعرفة الإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، ٢- توحيد الطلب والقصد، وهو توحيد الألوهية والعبادة. انظر: مدارج السالكين ٣/ ٤١٧.
وتوحيد الأسماء والصفات داخل في توحيد الربوبية، ولكن لما كثر المخالفون فيه أُفرد بالبحث.

(٤) القول المفيد: ١/ ١١.

١- توحيد الربوبية:

تعريفه[1]: هو «اعتقاد تفرد الله ﷻ في أفعاله، كالملك والخلق والتدبير».

فيجب «الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء، ومالكه، وخالقه، ورازقه، وأنه المحيي المميت، النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك»[2].

وقد أقر بهذا النوع معظم البشر حتى المشركون منهم، ولذا فإن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده «لا يكفي العبد في حصول الإسلام، بل لا بد أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الألوهية؛ لأن الله تعالى حكى عن المشركين أنهم مقرون بهذا التوحيد لله وحده، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١]، ولم يكونوا بذلك مسلمين»[3].

ولم ينكر توحيد الربوبية إلا قلة من البشر، وجُلُّهم أنكره ظاهرًا، علوًا واستكبارًا، وهم مقرون به في نفوسهم، وأشهر من تظاهر بإنكاره فرعون، كعادته في إنكار الآيات البينات، كما قال الله ﷻ عنه وعن قومه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤].

وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، ولذا عاب الله على المشركين الذين يقرون بتوحيد الربوبية عدم إقرارهم بتوحيد الألوهية، فمن أقرَّ بأن الله هو الخالق الرازق المدبِّر وجب عليه إفراده بالعبادة، وعدم صرف أي نوع من أنوع العبادة لغير خالقه، ومالك الكون.

---

(١) انظر: القول المفيد: ١/ ١١.

(٢) تيسير العزيز الحميد: ٣٣.

(٣) المرجع السابق.

٢- توحيد الأسماء والصفات

تعريفه: هو «أن يوصف الله تبارك وتعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسول ﷺ من صفات الكمال، ونعوت الجلال، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل»(١).

ويتضمن هذا النوع من التوحيد أمرين:

«الأول: الإثبات، وذلك بأن نثبت لله ﷻ جميع أسمائه وصفاته التي أثبتها لنفسه في كتابه ، أو سنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

الثاني: نفي المماثلة، وذلك بأن لا نجعل لله مثيلًا في أسمائه وصفاته، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى].

فدلت هذه الآية على أن جميع صفاته لا يماثله فيها أحد من المخلوقين؛ فهي وإن اشتركت في أصل المعنى، لكن تختلف في حقيقة الحال، فمن لم يثبت ما أثبته الله لنفسه؛ فهو معطل، وتعطيله هذا يشبه تعطيل فرعون، ومن أثبتها مع التشبيه؛ صار مشابهًا للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره، ومن أثبتها بدون مماثلة صار من الموحدين.

وهذا القسم من التوحيد هو الذي ضلت فيه بعض الأمّة الإسلامية، وانقسموا فيه إلى فرق كثيرة: فمنهم من سلك مسلك التعطيل، فعطل ونفى الصفات زاعمًا أنه منزه لله، وقد ضل؛ لأن المنزه حقيقة هو الذي ينفي عنه صفات النقص والعيب.

ومنهم من سلك مسلك التمثيل، زاعمًا بأنه محقق لما وصف الله به نفسه، وقد ضلوا؛ لأنهم لم يقدروا الله حق قدره، إذ وصموه بالعيب والنقص؛ لأنهم جعلوا الكامل من كل وجه كالناقص من كل وجه»(٢).

---

(١) حاشية كتاب التوحيد: ١١.

(٢) القول المفيد: ١/ ١٨، باختصار يسير.

٣- توحيد الألوهية

تعريفه: هو «إفراد الله ﷻ بالعبادة»(١). ويسمى هذا القسم بأسماء عدة، منها:

١- «توحيد الألوهية» أو «الإلهية» باعتبار إضافته إلى الله ﷻ.

٢- «توحيد العبادة» باعتبار إضافته للخلق؛ لأن العبودية وصف للعبد.

٣- «توحيد الطلب والقصد»؛ لوجوب إفراد الله بالطلب والقصد في العبادة.

أهمية توحيد الألوهية

تظهر أهمية توحيد الألوهية من خلال عدة أمور، منها(٢):

١- أن كل رسول يبدأ دعوته لقومه بالأمر بتوحيد الألوهية، كما قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ [العنكبوت:١٦].

٢- أن المشركين من سائر الأمم اجمعوا على إنكاره، ووقعت الخصومة بينهم وبين أنبيائهم في تحقيق معناه.

٣- أنه أول واجب على المكلف، وأول ما يدخل به في الإسلام، كما قال النبي ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: (إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ...الحديث)(٣).

٤- أنه «آخر ما يَخْرُجُ به من الدُّنيا، كما قال النبي ﷺ: (مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ)، فهو أول واجب، وآخر واجب، فالتوحيد: أول الأمر وآخره»(٤).

---

(١) القول المفيد: ١/١٦.

(٢) انظر: مدارج السالكين ٣/ ٤١١، عقيدة التوحيد: ٩.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري: (١٤٥٨)، ومسلم: (١٩)(٣١)، وفي لفظ لهما: (فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ)، وعند البيهقي في الصغرى (٣١٤): (أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ).

(٤) مدارج السالكين ٣/ ٤١٢. والحديث صحيح: أخرجه أبو داود: (٣١١٦).

شهادة أن لا إله إلا الله

توحيد الألوهية قائم على تحقيق شهادة «أن لا إله إلا الله»، والعمل بمقتضاها، ولذا كان لزامًا أن نبين معناها وأركانها وشروطها وفضائلها.

١- معناها:

«معنى شهادة أن لا إله إلا الله: الاعتقاد والإقرار أنه لا يستحقُّ العبادةَ إلا الله، والتزام ذلك والعمل به

(فلا إله) نفي لاستحقاق من سوى الله للعبادة كائنًا من كان.

(إلا الله) إثباتٌ لاستحقاق الله وحده للعبادة.

ومعنى هذه الكلمة إجمالًا: لا معبودَ بحقٍّ إلا الله.. وقد فُسِّرتْ هذه الكلمةُ بتفسيرات باطلة منها:

أ) أن معناها: لا معبودَ إلا الله. وهذا باطلٌ؛ لأن معناه: أن كل معبود بحقّ أو باطل هو الله ﷻ.

ب) أن معناها: لا خالقَ إلا الله. وهذا جزء من معنى هذه الكلمة؛ ولكن ليس هو المقصود؛ لأنه لا يثبت إلا توحيد الربوبية، وهو لا يكفي وهو توحيد المشركين»[1].

ج) أن معناها: لا موجود، وهذا باطلٌ؛ لأنّ هذا خلافُ الواقع، فالمعبوداتُ غيرُ الله موجودة بكثرة؛ فيلزم منه أن عبادة هذه الأشياء عبادة لله، وهذا من أبطل الباطل.

٢- أركان شهادة أن لا إله إلا الله:

شهادة أن «لا إله إلا الله: لها ركنان هما: النفي والإثبات:

---

(١) عقيدة التوحيد: ٥٠، باختصار يسير.

الأول: النفي: (لا إله): يُبطل الشرك بجميع أنواعه، ويُوجب الكُفرَ بكل ما يعبد من دون الله.

الثاني: الإثباتُ: (إلا الله): يُثبت أنه لا يستحق العبادة إلا الله، ويُوجب العمل بذلك.

وقد جاء معنى هذين الركنين في كثير من الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦].

قوله: ﴿مَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ هو معنى الركن الأول (لا إله)، وقوله: ﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ هو معنى الركن الثاني (إلا الله)»[١].

٣- شروط شهادة أن لا إله إلا الله:

لشهادة أن لا إله إلا الله سبعة شروط لا بد منها، فلا تنفع قائلها إلا باجتماعها؛ وهي[٢]:

الأول: العلم المنافي للجهل: والمراد به العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا، كما بيناه في أركانها، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف]، ﴿شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ أي بلا إله إلا الله، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ماشهدت به ألسنتهم، وقال النبي ﷺ: (مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ)[٣].

الثاني: اليقين المنافي للشك: بأن يكون قائلها مستيقنًا بما تدلّ عليه؛ فإن كان شاكًا بما تدل عليه لم تنفعه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات:١٥].
وقال النبي ﷺ لأبي هريرة ﷺ: (مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ)[٤]، فمن لم يستيقن بها قلبه، لم يستحق دخولَ الجنَّة.

---

(١) عقيدة التوحيد: ٥١.

(٢) انظر معارج القبول: ٢/ ٤١٨-٤٢٧.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم: (٢٦).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم: (٣١).

الثالث: القبول المنافي للرد: بأن يقبل ما اقتضته هذه الكلمة من عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه؛ فمن قالها ولم يقبل ذلك، ولم يلتزم به؛ كان من الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٤ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥﴾ [الصافات].

الرابع: الانقيادُ المنافي للترك: بأن يُسلم لما دلت عليه هذه الشهادة، قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان:٢٢].

الخامس: الصدق المنافي للكذب: بأن يُصدِّق قلبُه لسانَه الذي نطق بالشهادة، فإن المنافقين ينطقون بالشهادة كذبًا، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة]، وقال النبي ﷺ: (مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ)[1].

السادس: الإخلاص المنافي للشرك: والإخلاصُ هو تصفيةُ العمل من جميع شوائب الشرك؛ بأن لا يقصد بقولها طمعًا من مطامع الدنيا، ولا رياء ولا سمعة، قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر]، وقال ﷺ: (أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ)[2].

السابع: المحبة المنافية للبغضاء: بأن يحب الله ورسوله، وما اقتضته هذه الكلمة، ودلت عليه، ويحب أهلَها العاملين بها، ويبغض ما ناقض ذلك، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري: (١٢٨)، ومسلم: (٣٢)، وليس في رواية مسلم: (صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري: (٩٩).

٤- فضائل شهادة أن لا إله إلا الله:

لشهادة (أن لا إله إلا الله) فضائل عديدة وردت في النصوص الشرعية، لمن حقق معناها، والتزم بشروطها التي ذكرناها، ومن تلك الفضائل[١]:

١- أنها أعلى شعب الإيمان، وأفضلها، كما قال النبي ﷺ: (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)[٢].

٢- أنها أفضل الذكر والدعاء، كما قال النبي ﷺ: (خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[٣].

٣- أنها العروة الوثقى التي من تمسك بها نجا، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦].

٤- أن من كان آخر كلامه من الدنيا (لا إله إلا الله)، دخل الجنة، قال النبي ﷺ: (مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ)[٤].

٥- أن النار تحرم على من قالها صدقًا من قلبه، قال النبي ﷺ: (مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ)[٥].

٦- أن من قالها مخلصًا من قلبه استحق شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة، قال ﷺ: (أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ)[٦].

---

(١) انظر معارج القبول: ٢/ ٤١٠.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري: (٩)، ومسلم: (٣٥)، وهذا لفظه.

(٣) حسن: أخرجه الترمذي: (٣٥٨٥).

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود: (٣١١٦).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري: (١٢٨)، ومسلم: (٣٢)، وليس في رواية مسلم: (صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ).

(٦) صحيح: أخرجه البخاري: (٩٩).

المبحث الثالث

بيان ما يضاد التوحيد وينافي كماله

المقصود بـ «ما يضاد التوحيد» الأمور التي تناقض التوحيد، فإذا وقعت من العبد خرج من الإسلام، وأصبح بها كافرًا مرتدًا عن الإسلام، وهي الشرك الأكبر، والكفر الأكبر، والنفاق الأكبر.

وأما «ما ينافي كمال التوحيد» فهي أمور تُنقص من التوحيد، وتنافي كماله، لكنها لا تضاد التوحيد، فإذا وقعت من العبد لم يخرج من الإسلام، إنما تُنقص إيمانه، ومنها: الشرك الأصغر، والكفر الأصغر، والنفاق الأصغر.

أولاً: الشرك: وهو نوعان:

١- الشرك الأكبر:

تعريفه[1]: هو «اتخاذ العبد غير الله ندًا مساويًا لله ﷻ في ربوبيته أو ألوهيته».

فالشِّرك الأكبر يقع في الربوبية وفي الألوهية، ووقوعه في الألوهية أغلب، بأن يصرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله، كالدعاء والذبح والنذر والخوف والمحبة، فمن صرف أي نوع من أنواع العبادات لغير الله فقد أشرك الشِّرك الأكبر المخرج من الملة.

خطر الشرك: الشِّرْكُ أعظم الذنوب، وأكبر الكبائر على الإطلاق، وذلك لأمور، منها:

١- أنه تشبيه المخلوق بالخالق في خصائص الألوهية، فمن صرف أي نوع من أنواع العبادات لغير الله فقد شبهه بالله ﷻ، وهذا أعظم الظلم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمان].

---

(١) انظر معارج القبول: ٢/ ٤٨٣، عقيدة التوحيد: ٩٢.

٢- أنَّ المشرك خارج عن الإسلام، غير معصوم الدم والمال، قال النبي ﷺ: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ)[1].

٣- أن الله ﷻ لا يغفر لمن مات على الشِّرك، ولم يتب منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦].

٤- أن الله حرَّم الجنة على المشرك، وأنه خالد مخلد في نار جهنم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

٥- أنَّ الشِّركَ يُحبطُ جميعَ الأعمال، قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

٢- الشِّرك الأصغر:

تعريفه[2]: هو «كل ذنب سمَّاهُ الشارع شركًا، ولم يبلغ درجة الشِّرك الأكبر».

فالشِّرك الأصغر من أعظم الذنوب؛ لأنه وسيلة للشِّرك الأكبر، وقد يؤدي بصاحبه إلى الوقوع في الشِّرك الأكبر، لكنه لا يبلغ درجته، فهو لا يخرج من الملة.

أقسامه: ينقسم الشِّرك الأصغر إلى قسمين:

القسم الأول: الشِّرك الظاهر، وهو ما يقع من اللسان والجوارح، فهو أقوال وأفعال:

أ) الأقوال: كالحلف بغير الله، قال ﷺ: (مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ)[3].

وكقول: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وفلان، فعن قُتَيلَةَ بن صَيفي رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أن يهوديًا أتى النبي ﷺ، فقال: إنكم تندحون، وإنكم تشركون؛ تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون:

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري: (٢٩٤٦)، ومسلم: (٢١).

(٢) انظر حاشية كتاب التوحيد: ٥٠.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود: (٣٢٥١)، وهذا لفظه، والترمذي: (١٥٣٥)، وأصله في الصحيحين.

والكعبة، (فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شِئْتَ)(١).

ب) الأفعال: ومنها تعليق التمائم خوفًا من العين، قال ﷺ: (إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ)(٢)، والتمائم هي ما يعلق على العنق من خرز أو خيط أو حجاب؛ لدفع العين.

القسم الثاني: الشرك الخفي، وهو ما يكون في الإرادات والنيات، كالرياء والسمعة، فإذا كان الباعث على العمل إرادة وجه الله، ثم دخل عليه الرياء، فزينه وحسنه؛ ليمدحه الناس، فقد وقع في الشِّرْكِ الأصغر، قال ﷺ: (إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ) قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (الرِّيَاءُ)(٣).

وقال ﷺ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟) قَالَ: قُلْنَا: بلى، فقال: (الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ)(٤).

ثانيًا: الكفر: وهو نوعان:

١- الكفر الأكبر:

تعريفه: هو «**كل اعتقاد أو قول أو فعل أو ترك يناقض الإيمان**»(٥).

أقسامه: للكفر الأكبر أقسام عدة، منها:

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي: (٣٧٧٣).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود: (٣٨٨٣)، وابن ماجه: (٣٥٣٠).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد: (٢٣٦٣٠).

(٤) حسن: أخرجه ابن ماجه: (٤٢٠٤).

(٥) تسهيل العقيدة الإسلامية: ٢٠٠.

الأول: كفر الإنكار والتكذيب، بأن ينكر شيئًا من أحكام الدين، أو أخباره الثابتة بدليل قطعي، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [العنكبوت].

الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق، بأن يصدق بما جاء به الرسول ﷺ، ولكن لا يسلم له إباءً و استكبارًا، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة].

الثالث: كفرُ الشَّكِّ والظَّنِّ، فمن شك في شيء مما جاء به الرسول ﷺ، فقد كفر كفرًا أكبر يخرج من الملة، وقد حكى الله في كتابه الكريم قول صاحب الجنة: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾، فقال له صاحبه: ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ ﴾ [الكهف: ٣٦-٣٧] .

الرابع: كفرُ الإعراضِ، بأن يعرض عن دين الله، لا يتعلمه، ولا يعمل به، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأحقاف].

الخامس: كفر النفاق، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [البقرة]، وسيأتي قريبًا.

٢- الكفر الأصغر:

تعريفه[1]: هو «كل ذنب سمَّاهُ الشارع كفرًا، ولم يبلغ درجة الكفر الأكبر».

ومن صوره:

١- قتال المسلم، قال النبي ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[2].

---

(١) انظر: أعلام السنة المنشورة: ١٤٩، عقيدة التوحيد: ١٠١

(٢) صحيح: أخرجه البخاري: (٤٨)، ومسلم: (٦٤).

٢- الطعن في الأنساب.

٣- والنياحة على الميت، قال ﷺ: (اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْـمَيِّتِ)(١).

ثالثًا: النفاق: وهو نوعان:

١- النفاق الأكبر (الاعتقادي):

تعريفه(٢): هو «إظهار الإسلام، وإبطان الكفر».

قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون].

فمن أظهر الإسلام، وعمل به في الظاهر، وهو يبطن في قلبه الكفر، ويبغض ما جاء به الرسول ﷺ فهو منافقٌ نفاقًا أكبر يخرج من الملة، وهو أشد كفرًا من سائر الكفار، وعذابه أعظم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

والنفاق قسم من أقسام الكفر الأكبر ـ كما سبق ـ وأُنما أُفرد؛ لشدة خطره، فالمنافقون يعيشون مع المسلمين، يكيدون لهم، ويناصرون أعدائهم، وهم يظهرون خلاف ما يبطنون.

علامات النفاق الأكبر: للمنافقين علامات تُظهر ما يبطنون من النفاق، ومنها(٣):

١- الاستهزاء بالله وبرسوله وبالقرآن.

٢- سبُّ الله تعالى، أو سب رسوله ﷺ، أو تكذيبهما.

٣- الإعراض عن دين الإسلام، وعيبه، والعمل على إبعاد الناس عنه، وعدم التحاكم إليه.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم: (٦٧).

(٢) انظر: عقيدة التوحيد: ١٠٦.

(٣) انظر: تسهيل العقيدة الإسلامية: ٢٢٥.

٤- التحاكم إلى الكفار، والحرص على تطبيق قوانينهم مفضلاً لها على حكم الله.

٥- اعتقاد صحة المذاهب الهدَّامة، والدعوة إليها مع معرفة حقيقتها.

٦- مناصرة الكفار ومعاونتهم على المسلمين.

٧- إظهار الفرح والاستبشار عند انتصار الكفار، أو عندما يصيب المسلمين ضرر.

٨- سب وعيب العلماء والمصلحين والمؤمنين الصادقين، بغضاً لهم ولدعوتهم ولدينهم.

٢- النفاق الأصغر (العملي):

تعريفه[١]: هو «الاتصاف بشيء من صفات المنافقين العملية مع بقاء الإيمان في القلب».

فمن اتصف بصفة من صفات المنافقين العملية، وقع في النفاق العملي، وهذا الصفات:

١- الكذب في الحديث.

٢- الغدر بالعهد.

٣- إخلاف الوعد.

٤- الفجور في الخصومة.

٥- خيانة الأمانة.

وقد اجتمعت هذه الخصال في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَر) [٢]، وفي رواية: (إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) [٣].

---

(١) انظر: عقيدة التوحيد: ١٠٨.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري: (٢٤٥٩)، ومسلم: (٥٨).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري: (٣٤).

رابعًا : الفروق بين ما يضاد التوحيد وما ينافي كماله:

م	ما يضاد التوحيد (الشرك الأكبر، الكفر الأكبر، النفاق الأكبر)	ما ينافي كمال التوحيد (الشرك الأصغر، الكفر الأصغر، النفاق الأصغر)
١	يخرج من الملة	لا يخرج من الملة
٢	يحبط جميع الأعمال	لا يحبط جميع الأعمال
٣	يخلد في النار	لا يخلد في النار
٤	يبيح الدم والمال	لا يبيح الدم والمال
٥	يوجب البراء الخالص من فاعله	يوجب البراء من الفعل خاصة
٦	لا يصدر من مؤمن	قد يصدر من المؤمن
٧	لا يُغفر لمن مات عليه من غير توبة	من مات عليه فهو تحت مشيئة الله إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه

المبحث الرابع

تعريف الإيمان

١- تعريف الإيمان في اللغة:

الإيمان في اللغة[١] هو: التصديق مع الطمأنينة والإقرار، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [يوسف].

٢- تعريف الإيمان في الاصطلاح:

هو[٢] «**اعتقاد بالجَنَان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية**».

قال السَّفَارِينِيُّ في منظومته:

«إِيمَانُنَا قَوْلٌ وَقَصْدٌ وَعَمَلْ * تَزِيدُهُ التَّقْوَى وَيَنْقُصُ بِالزَّلَلْ»[٣].

شرح التعريف:

«**اعتقاد بالجَنَان**»: الجنان هو القلب، فلا بد من يقين القلب، وتصديقه بما جاء به النبي ﷺ، فإن لم يعتقد بقلبه فليس بمؤمن، ولو نطق بالشهادة بلسانه، كالمنافق.

«**وقول باللسان**»: بأن ينطق بالشهادة، فإن صَدَّق بقلبه، ولم يشهد بلسانه لم يكن مؤمنًا، كأبي طالب، فإنه كان يعتقد صدق النبي ﷺ، ولم ينفعه ذلك بالدخول في الإيمان.

«**عمل بالأركان**»: الأركان هي الجوارح والأعضاء، وهذا يدل على أن العمل داخل في مسمى الإيمان، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر أعمال الإسلام هي من الإيمان،

---

(١) انظر: مادة (أمن) في: تهذيب اللغة: ١٥/ ٣٦٨، لسان العرب: ١٣/ ٢١، وانظر الإيمان لابن تيمية: ١٠٤.

(٢) انظر: الشريعة: ٢/٦١١، لمعة الاعتقاد: ٢٦.

(٣) لوامع الأنوار البهية: ١/ ٤٠٣.

ويدخل في ذلك أيضًا الأعمال القلبية، كالإخلاص والمحبة والتوكل.

والدليل على دخول الأعمال في مسمى الإيمان قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[البقرة:١٤٣]، أي صلاتكم للقبلة الأولى، فسمى الصلاة إيمانًا.

«**يزيد بالطاعة**»: أي أن فعل الطاعات، والإكثار منها يزيد في الإيمان، وهذا مبني على دخول الأعمال في مسمى الإيمان، فكلما ازداد العبد من الطاعات، والتقرب إلى الله زاد إيمانه، والناس في هذا متفاوتون كما هو مشاهد.

والدليل على أن الإيمان يزيد بالطاعة قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤].

«**وينقص بالمعصية**»: أي كما أن الطاعات تزيد الإيمان، فكذلك المعاصي تنقص الإيمان، وتُضعفه، والمراد بالمعاصي هنا: ما لا يُخرج من الملة، سواء أكانت كبائر أم صغائر، وهذا يدل على أن العاصي لا يخرج بمعصيته من الإيمان، ولكن المعصية تضعف إيمانه، وتنقصه، فالمعاصي تقدح في كمال الإيمان.

المبحث الخامس

أركان الإيمان

أركان الإيمان ستة، وهي:

١- الإيمان بالله .

٢- الإيمان بالملائكة.

٣- الإيمان بالكتب.

٤- الإيمان بالرسل.

٥- الإيمان باليوم الآخر.

٦- الإيمان بالقدر خيره وشره.

والدليل من القرآن الكريم على هذه الأركان قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البقرة:١٧٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر].

ومن السنة حديث عمر ﷺ الطويل وفيه: أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: أخبرني عن الإيمان، فقال ﷺ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)(١).

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم: (٨).

الركن الأول
الإيمان بالله

«الإيمان بالله ﷻ هو أهم أصول الإيمان، وأعظمها شأنـًا، وأعلاها قدرًا، بل هو أصـل أصول الإيمان، وأساس بنائه، وقوام أمره، وبقية الأصول متفرعة منـه، راجعـة إليـه، مبنيـة عليه»(١).

والإيمان بالله ﷻ يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجود الله ﷻ.

الثاني: الإيمان بربوبية الله ﷻ، وأنه خالق الكون، ومدبره، وهذا هو توحيد الربوبية.

الثالث: الإيمان بألوهيته ﷻ ، وأنه وحده المستحق للعبادة، وأن عبادة ما سـواه باطلـة، وهذا هو توحيد الألوهية.

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته ﷻ، وهذا هو توحيد الأسماء والصفات.

وقد سبق الكلام على أنواع التوحيد الثلاثة.

وأما الإيمان بوجود الله فهو مما فُطرت عليه النفوس، وجُبلت عليه القلوب، وقد أرسل الله الرسل لدعوة أقوامهم إلى عبادة الله وحده، ولم يبعثهم لدعوة الناس إلى الإقرار بوجوده؛ لأنـه مقرون بذلك، كما قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

«فالفطرة الإنسانية تشهد بوجود خالقٍ قادرٍ عليمٍ حكيمٍ مستحقٍ للعبادة، ولكـن هـذه الفطرة قد تنحرف، ويوجد في الناس من ينـازع في كثـير مـن القضـايا الضـرورية البديهيـة

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: ٩.

والمعارف الفطرية؛ ولهذا وجد من أنكر الخالق قديمًا وحديثًا، إما في الظاهر دون الباطن كحال فرعون ونحوه، وإما ظاهرًا وباطنًا»(١)، وهم قلة شاذة من البشر.

والأدلة على وجود الله ﷻ كثيرة، وقد ذكر الله ﷻ في كتابه الكريم دليلًا من أعظم الأدلة التي يمكن الرد فيها على منكري وجود الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور].

وهذا دليل عقلي على وجود الله ﷻ، فإن المنكر لله إذا نظر إلى نفسه وجد خلقًا عظيمًا، رُكب في أحسن صورة، وكذلك كل ما حوله من المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات]، فمن خلق هذه المخلوقات المتقنة الخلق؟ ذكر الله تعالى في قوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ احتمالين:

الأول: أنها خُلقت من غير شيء: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾، أي من غير خالق خلقها، ودون تدبير، بل وجدت صدفة، وهذا لا يقر به أحد، ويأباه كل عقل سليم، فلا بد للشيء من خالق وموجد.

الثاني: أنها خَلقت نفسها بنفسها: ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾، وهذا مستحيل؛ لأن المخلوق قبل أن يُخلق معدوم، والمعدوم يحتاج إلى من يوجده، ولا يمكن له خلق نفسه بنفسه.

فهذان احتمالان باطلان، لا يقرهما العقل، وينكرهما كل منصف، فلم يبق إلا الاحتمال الثالث الذي لم يذكره الله تعالى؛ لشدة وضوحه، وهو أن هذا الخلق العظيم، وهذا الكون المنتظم له خالق أنشأه من العدم، وهو الله ﷻ، وهذا أمر مُسَلَّمٌ به عند أصحاب العقول السليمة، والفطر الصحيحة.

---

(١) رسالة في أسس العقيدة: ١٣.

آثار الإيمان بالله تعالى:

للإيمان بالله تعالى آثار جليلة، منها[1]:

١- تحقيق توحيد الله تعالى، بحيث لا يتعلق المؤمن بغير الله رجاء، ولا خوفًا، ولا يَعْبُدُ غير الله ﷻ.

٢- كمال محبة الله تعالى، وتعظيمه بمقتضى معرفة العبد لأسمائه الحسنى، وصفاته العليا.

٣- تحقيق المؤمن عبادة الله تعالى بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

٤- تحقيق التقوى، ومراقبة الله في السر والعلن.

٥- تحقيق السعادة والطمأنينة للمؤمن في الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: نبذة في العقيدة الإسلامية: ٤١.

الركن الثاني
الإيمان بالملائكة

تعريف الملائكة:

هم[١]: «عالم غيبي، خلقهم الله من نور لعبادته، ومنحهم قوى عظيمة لتنفيذ أمره، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون».

قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝﴾ [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝﴾ [التحريم].

والإيمان بالملائكة يتضمن أمرين[٢]:

الأول: الإيمان بهم إجمالًا، بأن يؤمن العبد بوجودهم، وأن الله خلقهم لعبادته، وتنفيذ أمره، ومنحهم القدرة على ذلك، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

الثاني: الإيمان بهم تفصيلًا، وهذا على ثلاثة أقسام:

أولًا: الإيمان بمن سُمي لنا منهم كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك ورضوان.

ثانيًا: الإيمان بأعمالهم التي كلفهم الله بها، ومن ذلك[٣]:

١- الوحي من الله ﷻ إلى الأنبياء، الموكل به هو الروح الأمين جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝﴾ [الشعراء].

٢- إنزال القطر وإنبات النبات، والموكل به هو ميكائيل عليه السلام، وهو ذو مَكانة عَلِيَّة، ومَنْزِلَة رَفيعة عند الله ﷻ.

---

(١) انظر: أعلام السنة المنشورة: ٧٨، شرح العقيدة الواسطية: ٦٤.

(٢) انظر: العقيدة الصحيحة وما يضادها: ١٢.

(٣) انظر: معارج القبول: ٢/ ٦٥٨، شرح العقيدة الواسطية: ٥٩.

٣- النفخ في الصُّور، و الموكل به هو إسرافيل عليه السلام، ينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين.

«وهؤلاء الثلاثة كلهم موكلون بما فيه حياة، فجبريل موكل بالوحي وفيه حياة القلوب، وميكائيل بالقطر والنبات وفيه حياة الأرض، وإسرافيل بنفخ الصور وفيه حياة الأجساد يوم المعاد؛ ولهذا كان النبي ﷺ يتوسل بربوبية الله لهم في دعاء الاستفتاح في صلاة الليل»[1]، فقد روت عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل افتتح صلاتهُ: (اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[2]، وهذا يدل على علو مكانتهم، وشريف مقامهم عند الله ﷻ.

٤- قبض الأرواح، والموكل به هو ملك الموت وأعوانه، قال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة:١١]، ولم يثبت أن اسمه «عزرائيل»، والثابت في النصوص تسميته بملك الموت.

٥- حفظ العبد وكتابة أعماله، في حله وارتحاله، وفي كل أحواله، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار].

٦- ومنهم حملة العرش، قال الله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة]، وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ)[3].

---

(١) شرح العقيدة الواسطية: ٦٠.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود: (٤٧٢٧).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم: (٧٧٠).

ثالثًا: الإيمان بصفاتهم التي ثبتت في النصوص، ومن ذلك:

١- أنهم مخلوقون من نور، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي ﷺ قال: (خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ)(١).

٢- أن لهم أجنحة، كما قال تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ [فاطر:١]، وقد رأى النبي ﷺ جبريل في صورته، وله ست مائة جناح(٢).

٣- أنهم يتمثلون بالبشر، فجبريل لم يره النبي ﷺ في صورته التي خلقه الله عليها إلا مرتين(٣)، وكان يتمثل له بصور متعددة، كما في حديث عمر رضي الله عنه: (إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد..الحديث، فلما انصرف الرجل قال النبي ﷺ: (فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)(٤).

٤- أنهم لا يأكلون ولا يشربون، كما في قصة إبراهيم لما قدم الطعام للملائكة الذين جاؤه على صورة بشر، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةًۚ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٖ ۝٧٠﴾ [هود:٧٠].

٥- أنهم لا يملون من عبادة الله وطاعته، ولا يتعبون، كما قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم: (٢٩٩٦).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري: (٣٢٣٢)، ومسلم: (١٧٤).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري: (٤٨٥٥)، ومسلم: (١٧٧).

(٤) صحيح: أخرجه صحيح: مسلم: (٨).

آثار الإيمان بالملائكة:

للإيمان بالملائكة آثار جليلة، منها[1]:

١- العلم بعظمة خالقهم تبارك وتعالى وقوته وسلطانه، فإن عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق.

٢- شكره تعالى على عنايته بعباده، حيث وكَّل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

٣- الحرص على الطاعة وتجنب المعصية عند استحضار ملازمتهم للعبد في كل أحواله.

٤- محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى على الوجه الأكمل، واستغفارهم للمؤمنين.

(١) انظر: شرح ثلاثة الأصول: ٩٢.

الركن الثالث
الإيمان بالكتب

المراد بالإيمان بالكتب[(١)]: «التصديق الجازم بما أنزل الله على رسله من الكتب، وأنها كلام الله ﷻ، تكلم بها سبحانه كيف شاء، فيها الرحمة والهداية للعباد».

فالله ﷻ لم يترك عباده دون هداية وإرشاد، بل امتن عليهم بأن أنزل إليهم كتبه، فيها الحق المبين، والهدى المستبين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥].

والإيمان بالكتب يتضمن ثلاثة أمور[(٢)]:

الأول: الإيمان بالكتب إجمالًا، وذلك بأن يؤمن المرء بأنها كلام الله ﷻ، أنزلها على رسله، هداية للعباد، ما علمنا منها، وما لم نعلم، فقد أنزل الله على رسله كتبًا لا يَعرف أسماءها ولا عددها إلا الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ﴾ [الشورى:١٥].

الثاني: الإيمان بما سمى اللهُ لنا من الكتب، وهي القرآن الكريم والإنجيل والتوراة والزبور وصحف إبراهيم وموسى، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم].

الثالث: الإيمان بالقرآن الكريم، وبما جاء فيه، واتباعه، قال ابن العز: «وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرار به، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب»[(٣)]، فالإيمان

---

(١) انظر: معارج القبول: ٢/ ٦٧٢.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ٢/ ٤٢٤-٤٢٥، العقيدة الصحيحة وما يضادها: ١٣.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: ٢/ ٤٢٥.

بالكتب السماوية غير القرآن لا يوجب اتباع ما فيها؛ لأنها شرعٌ لمن قبلنا، وإنما نؤمن بها إجمالًا، ولا نعمل بما فيها إلا ما أقره القرآن الكريم، إذ إنه ناسخٌ لجميع الكتب السابقة، وكافٍ عنها، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة:٤٨]. وقوله: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ أي «حاكمًا على ما قبله من الكتب»[1].

مواضع الاتفاق والاختلاف بين الكتب السماوية:

- تتفق الكتب السماوية في أمور منها[2]:

١- **وحدة المصدر**: فكل الكتب السماوية مصدرها واحد، فهي كلام الله ﷻ، أنزله على رسله، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء:١٣٦].

٢- **وحدة الغاية**: فكل الكتب السماوية نزلت لتهدي الناس لعبادة الله وحده، وهي الغاية من خلق الجن والإنس، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات].

٣- **وحدة العقيدة**: فكل الكتب السماوية تدعو لتوحيد الله، وإفراده بالعبادة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

٤- **وحدة القواعد العامة**: فكل الكتب السماوية تدعو لتزكية النفس، ومكارم الأخلاق، وأداء الحقوق، والعدل، والقسط، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الحديد:٢٥].

- وأما الاختلاف بين الكتب السماوية فهو في: الشرائع، وتفاصيلها، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة:٤٨].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٣/ ١٣٨.

(٢) انظر: الرسالة والرسالات: ٢٣٥-٢٥٠.

آثار الإيمان بالكتب:

للإيمان بالكتب آثار جليلة، منها[1]:

١- العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه، حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم به.

٢- ظهور حكمة الله تعالى، حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها من الأحكام والشرائع، وكان خاتم هذه الكتب القرآن العظيم مناسبًا لجميع الخلق في كل عصر ومكان إلى يوم القيامة.

٣- شكر نعمة الله تعالى على هذه النعمة بأن أنزل الكتب السماوية على رسله لهداية العباد، وإرشادهم للحق.

(١) انظر: شرح ثلاثة الأصول: ٩٥، نبذة في العقيدة: ٤٧.

الركن الرابع
الإيمان بالرسل

المراد بالإيمان بالرسل(١): «التصديق الجازم بأن الله أرسل في كل أمة رسولًا منهم يدعوهم لعبادته، وأيدهم بالبراهين الظاهرة، والآيات الباهرة، فبلغوا البلاغ المبين».

«وقد اتفقت دعوتهم من أولهم إلى آخرهم في أصل الدين، وهو توحيد الله عز وجل، بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ونفي ما يضاد ذلك، أو ينافي كماله كما تقدم ذلك»(٢).

الفرق بين النبي والرسول(٣):

الرسول: من بعث بشرع جديد، وأُنزل إليه كتاب.

والنبي: من بعث في قوم مؤمنين، أو لتقرير شرع من قبله.

ويتفقان في أن كلًا منهما يُوحى إليه، ومأمور بالبلاغ، ومؤيد بالآيات المعجزة.

والإيمان بالرسل يتضمن ثلاثة أمور(٤):

الأول: الإيمان بهم إجمالًا، فيجب الإيمان بأن الله بعث في كل أمة رسولًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦] فنؤمن بكل رسل الله من عرفنا منهم، ومن لم نعرف، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر:٧٨]، والإيمان بجميع الرسل متلازم، فلابد من الإيمان بهم جميعًا، فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم جميعًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

---

(١) انظر: معارج القبول: ٢/ ٦٧٧.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ٦٧٧.

(٣) للعلماء في ذلك أقوال عدة لعل أقربها ما ذكرته. انظر: الفرق بين الفرق: ٣٣٢، قطف الجنى الداني: ١١٠.

(٤) انظر: العقيدة الصحيحة وما يضادها: ١٥.

يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء].

الثاني: الإيمان بمن سُمي لنا من الرسل، وقد ذكر الله في القرآن الكريم خمسة وعشرين نبيًا، وهم: آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وشعيب، وذو الكفل، وموسى، وهارون، ويونس، وداود، وسليمان، وأيوب، وإلياس، واليسع، وزكريا، ويحيى، وعيسى، ومحمد ﷺ.

وأول الأنبياء آدم، وأول الرسل نوح، وأولو العزم إبراهيم ونوح وموسى وعيسى ومحمد، ونبينا ﷺ هو أفضل الأنبياء والمرسلين، وخاتمهم كما سيأتي.

الثالث: الإيمان بالنبي ﷺ، وبما جاء به، واعتقاد أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٣٩].

ويجب اعتقاد أنه لا يسع أحدًا الخروجُ عن شرعه، ولا التقرب لله بغير هديه ﷺ، وأنه مرسل للناس كافة كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:٢٨]، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَٰذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)(١).

وأن النبي ﷺ أفضل الأنبياء والمرسلين، وسيد ولد آدم، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ)(٢).

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم: (١٥٣).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم: (٢٢٧٨).

الرابع: الإيمان بمعجزات الرسل، والمعجزة هي: «أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، يظهر على يد نبي، سالم من المعارضة».

وقد أيد الله الأنبياء بالمعجزات؛ لتكون آيات وبراهين دالة على صدقهم، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(١).

فالقرآن الكريم هو أعظم ما أيد الله به رسوله ﷺ من المعجزات، وقد تحدى الله المشركين بأن يأتوا بمثله، قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ۝٣٤﴾ [الطور].

ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٣﴾ [هود].

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٣﴾ [البقرة]، فعجزوا عن ذلك.

بل التحدي قائم حتى يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء].

وقد أجرى الله ﷻ على يدي النبي ﷺ كثيرًا من المعجزات، ومن ذلك انشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفه، وتكثير الطعام، وحنين الجذع، وتسبيح الطعام والحصى بيده الكريمة، وتسليم الحجر عليه ﷺ(٢).

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم: (١٥٢).

(٢) للإطلاع على الأحاديث الواردة في ذلك راجع كتب دلائل النبوة ككتاب دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، وكتاب دلائل النبوة للبيهقي.

آثار الإيمان بالرسل:

للإيمان بالرسل آثار جليلة، منها[١]:

١ – العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه، حيث أرسل إليهم أولئك الرسل الكرام للهداية والإرشاد.

٢ – شكر الله تعالى على هذه النعمة الكبرى، وهي إرسال الرسل؛ لهداية الخلق إلى عبادة ربهم، والإيمان به.

٣ – محبة الرسل، وتوقيرهم، والثناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله تعالى، وخلاصة عبيده، قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده، والصبر على أذاهم.

---

(١) انظر: شرح ثلاثة الأصول: ٩٩.

الركن الخامس
الإيمان باليوم الآخر

«اليوم الآخر: هو يوم القيامة الذي يُبعث الناس فيه للحساب والجزاء.

وسمي بذلك؛ لتأخره عن الدنيا، ولأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازهم، وأهل النار في منازلهم»[١].

والإيمان باليوم الآخر من أكثر أركان الإيمان ذكرًا في القرآن الكريم بعد الإيمان بالله، وقد قرن الله ﷻ بين الإيمان بالله واليوم الآخر في واحد وعشرين موضعًا، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝﴾ [البقرة]، وذلك لأن الإيمان باليوم الآخر يحمل الإنسان على الإيمان بالله، وطاعته، والامتثال لأمره، فإن الإنسان إذا آمن بأن هناك بعثًا وجزاءً حمله ذلك على العمل لذلك اليوم، فيؤمن بالله لينال ثوابه، ويدخل الجنة، وينجو من النار.

وقد سمى الله اليوم الآخر بأسماء كثيرة، جمعها بعض العلماء فبلغت نحو ثمانين اسمًا، وهذا يدل على عظم أمره، فالشيء كلما عظم شأنه كثرت أسماؤه[٢]، ومن أسمائه:

١- يوم القيامة؛ لقيام الناس فيه لرب العالمين.

٢- يوم الوعيد؛ لتحقق وعيد الله للكافرين.

٣- يوم الحسرة؛ لما يكون فيه من الحسرات.

٤- يوم القارعة: لأنها تقرع القلوب بأهولها.

٥- يوم الواقعة؛ لتحقق وقوعه.

٦- يوم التَّلاق؛ لتلاقي الناس فيه.

٧- يوم الآزفة؛ لشدة قربه.

٨- يوم الدين، أي الجزاء والحساب.

---

(١) انظر: شرح ثلاثة الأصول: ١٠٠، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد: ٢٢٩.

(٢) انظر: فتح الباري: ١١/ ٣٩٦، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد: ٢٣٢-٢٣٤.

و الإيمان باليوم الآخر يتضمن أمورًا(١):

الأول: الإيمان بما يكون في البرزخ، بعد الموت، وقبل قيام الساعة، وذلك أن الموت هو القيامة الصغرى، ومن مات قامت قيامته، ومن ذلك:

١ - الإيمان بفتنة القبر: وهي سؤال الملكين للميت: من ربك؟ من نبيك؟ ما دينك؟ وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في هذه الفتنة، ومن ذلك حديث أسماء رضي الله عنها، قالت: (قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطِيبًا فَذَكَرَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ الَّتِي يَفْتَتِنُ فِيهَا الْمَرْءُ)(٢).

٢ - الإيمان بعذاب القبر ونعيمه: فالكافر يعذب في قبره، وكذا بعض العصاة، والمؤمن ينعم، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: (إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَالْجَنَّةُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَالنَّارُ، ثُمَّ يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ الَّذِي تُبْعَثُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(٣)، وقد أمر النبي ﷺ بالتعوذ من عذاب القبر، كما في حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)(٤).

وفتنة القبر وعذابه ونعيمه يحصلان لكل من مات، ولو لم يدفن في قبر، بأن حُرق، أو أكلته السباع، وإنما نسبت للقبر باعتبار الغالب.

- **الرد على منكري عذاب القبر ونعيمه:**

أنكر أقوامٌ ممن لا يؤمنون بالغيب عذاب القبر ونعيمه، واحتجوا: بأن الميت لو كُشف قبره لوجد كما كان، ليس فيه سِعة ولا ضيق، وجسد الميت كما هو، ولا أثر للعذاب أو النعيم عليه.

---

(١) انظر: نبذة في العقيدة: ٥٢-٥٤، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد: ٢٣١-٢٧٠.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري: (١٣٧٣)، مسلم: (٩٠٥)، واللفظ للبخاري.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري: (١٣٧٩)، مسلم: (٢٨٦٦).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم: (٢٨٦٧).

- والجواب عن ذلك من وجوه(١):

أولًا: أن عذاب القبر ونعيمه من المغيبات، التي لا يدركها الحس، ويجب فيها تصديق الأنبياء كما صدقناهم في سائر أمور الغيب، كالملائكة الذين نؤمن بوجودهم، ولا ندركهم بحواسنا المحدودة، وعدم إدراك الإنسان للشيء لا يدل على عدم وجوده.

ثانيًا: أن أحوال البرزخ لا تقاس بأحوال الدنيا، فهي دارٌ أخرى، فالدور ثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، والدار الآخرة، وقد جعل الله لكل دارٍ أحكامًا تخصها.

ثالثًا: أن النار والخضرة في القبرة ليست من نار الدنيا، ولا خضرتها، فلا يمكن لأهل الدنيا الاطلاع عليها، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها، بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفن أحدهما إلى جنب صاحبه في قبر واحد، وهذا في حفرة من النار، وهذا في روضة من رياض الجنة، لا يصل إلى أحدهما ما عند الآخر، وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب، فسبحان القادر على كل شيء.

الثاني: الإيمان بالبعث بعد الموت، وهو إحياء الموتى، وإخراجهم من القبور، حين يُنفخ في الصور النفخة الثانية، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾[يس]، فيحشر الناس للحساب، ويجمعون في صعيد واحد، فعن سهل بن سعد ﷺ، أن النبي ﷺ، قال: (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ، لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ)(٢).

والبعث من أعظم الأمور التي أنكرها الكافرون على رسلهم، فرد الله عليهم في القرآن

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ٢/ ٥٨١، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد: ٢٥٥.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري: (٦٥٢١)، ومسلم: (٢٧٩٠)، وقوله: (كقرصة نقي) أي كرغيفٍ من الدقيق النقي من النُّخالِ والغش، والمراد أن الناس يحشرون في أرض مستوية كاستواء القرص لا أثر فيها لسكنى أو بناء.

الكريم في مواضع عديدة بالأدلة والبراهين، قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٤٩ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ﴾ [الإسراء]، وهذا من أعظم الحُجَج على من أنكر البعث، فالذي خلق الخلق أول مرة من لا شيء قادرٌ على أن يعيدهم مرة أخرى، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾ [الروم].

الثالث: الإيمان بما يكون يوم القيامة، فإن الناس يواجهون أمورًا عظيمة، ومنها:

١- **الحساب والجزاء**، وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مُقْتَضَى الحكمة؛ كما قال تعالى: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨﴾ [ص]، فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به، فمن آمن استحق الفوز بما وَعد الله به، ومن كفر استحق العذاب، والدار الآخرة هي دار الحساب والجزاء، وسيحاسب كلٌّ على عمله، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ**: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود])[1].

٢- **صحائف الأعمال**: وهي الكتب التي كتبتها الملائكة على العباد، فلكل إنسان كتابٌ يُحصي كل صغيرة وكبيرة عملها في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ [الإسراء]، وحين توزع الصحف على العباد يوم القيامة، يأخذ المؤمن كتابه بيمينه، ويأخذ الكافر كتابه

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري: (٢٤٤١)، ومسلم: (٢٧٦٨).

بشماله من وراء ظهره، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الانشقاق].

٣- الميزان: وهو ميزان حقيقي توزن به الأعمال، الله أعلم بكيفيته، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ [الأنبياء:٤٧].

٤- الصراط: وهو جسر ممدود على جهنم، أدق من الشعرة، وأحد من السيف، يمر عليه الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمشي، ومنهم من يزحف، وعلى طرفيه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، قال ﷺ: (فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلاَمُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ)(١).

٥- الحوض: وهو حوض النبي ﷺ في عَرَصَاتِ القيامة، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: (حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ(٢) كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا)(٣).

٦- الشفاعة: وللنبي ﷺ ثلاث شفاعات يوم القيامة يختص بها:

الأولى: الشفاعة الكبرى، وهي شفاعته ﷺ في أهل الموقف حتى يقضى بينهم.

الثانية: شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوها.

الثالثة: شفاعته في عمه أبي طالب ليخفف عنه العذاب، فيكون في ضحضاح من النار.

(١) صحيح: أخرجه البخاري: (٨٠٦)، ومسلم: (١٢٨).

(٢) الكيزان جمع كوز، وهو نوع من الأواني التي يشرب بها. انظر مادة (كوز) لسان العرب: ٥/ ٤٠٢.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري: (٦٥٧٩)، ومسلم: (٢٢٩٢).

ومن الأدلة على الشفاعة حديث أنس بن مالك قال: حدثنا محمد ﷺ قال: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لاَ تَحْضُرُنِي الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ)(١).

٧- الجنة والنار: فالجنة دار المتقين، والنار دار الكافرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤﴾ [الانفطار].

وهما مخلوقتان موجودتان الآن، فآدم أنزل من الجنة مما يدل على وجودها حينما خلقه الله، وقال الله ﷻ عن النار: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝١٣١﴾ [آل عمران].

وهما باقيتان لا تفنيان ولا تبيدان أبدًا، باتفاق أهل السنة والجماعة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: (يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، كُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هُوَ فِيهِ)(٢).

والخلود لأهل الجنة يعني أن دارهم وهي الجنة خالدة لا تفنى ولا تبيد، وكذلك خلود أهل النار يلزم منه خلود النار.

نسأل الله أن يحسن لنا الختام، ويجعلنا من أهل الجنة دار المتقين، ويعيذنا من النار دار الكافرين.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري: (٧٥١٠) وهو لفظه، ومسلم: (١٩٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري: (٦٥٤٤)، ومسلم: (٢٨٥٠) وهذا لفظه.

آثار الإيمان باليوم الآخر:

للإيمان باليوم الآخر آثار جليلة، منها[1]:

١- الحرص على طاعة الله تعالى رغبةً في ثواب ذلك اليوم العظيم.

٢- البعد عن معصيته خوفًا من عقاب في اليوم الآخر.

٣- تسلية المؤمن عمّا يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة، وثوابها.

٤- عدم الحرص على الدنيا؛ لأنها دار زوال، والزهد فيها، وعدم الاغترار بمتاعها الزائل.

---

(١) انظر: شرح ثلاثة الأصول: ١٠٥.

الركن السادس
الإيمان بالقدر

تعريف القَدَر[1]: هو «علم الله بكل شيء قبل وجوده، وكتابته في اللوح المحفوظ، وخَلْقُ ذلك بقدرته تعالى، ووقوعه بمشيئته وإرادته سبحانه وتعالى».

فكل ما في هذا الكون من الكائنات، وما يقع لها سبق في علم الله قبل أن يوجد، وكتبه الله ﷻ في اللوح المحفوظ بكل تفاصيله ودقائقه، وخلقه الله بقدرته البالغة، ولا يقع شيء في هذا الكون إلا بمشيئته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر].

مراتب القدر:

والإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بمراتب القدر، وهي أربع[2]:

المرتبة الأولى: العلم، وذلك بأن تؤمن بأن الله تعالى علم كل شيء جملةً وتفصيلًا، سواء أكان من أفعاله، أم من أفعال المخلوقات، ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝١٢﴾ [الطلاق].

المرتبة الثانية: الكتابة، وذلك بأن تؤمن بأن الله كتب ما سبق في علمه من مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ: (كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)[3].

المرتبة الثالثة: المشيئة، وذلك بأن تؤمن بأن كل شيء في الكون إنما يقع بمشيئة الله ﷻ، كما

---

(١) انظر: نبذة في العقيدة: ٦٠.

(٢) انظر: القول المفيد: ٣/ ٢٠٦.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم: (٢٦٥٣).

قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠]، فلا يكون في ملكه سبحانه إلا ما يريد.

المرتبة الرابعة: الخلق، وهي أن تؤمن بأن جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها، وأفعالها، وصفاتها، كما قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام:١٠٢].

المخالفون في القدر:

«ضل في القدر طائفتان:

إحداهما: الجبرية، الذين قالوا: إن العبد مجبر على عمله، وليس له فيه إرادة ولا قدرة.

الثانية: القدرية، الذين قالوا: إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته فيه أثر.

والرد على الطائفة الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع:

١ - أما الشرع: فإن الله تعالى أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه، قال الله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢]. وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف:٢٩]. وقال: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت].

٢ - وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل والشرب، والبيع والشراء، وبين ما يقع عليه بغير إرادته كالارتعاش من الحمى، والسقوط من السطح، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر، وفي الثاني غير مختار، ولا مريد لما وقع عليه.

والرد على الطائفة الثانية (القدرية) بالشرع والعقل:

١ – أما الشرع: فإن الله تعالى خالق كل شيء، وكلُ شيء كائن بمشيئته، وقد بين الله تعالى في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة:٢٥٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة السجدة:١٣].

٢ – وأما العقل: فإن الكون كله مملوك لله تعالى، والإنسان من هذا الكون، فهو مملوك لله تعالى، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته»[١].

- «هل الإيمان بالقدر ينافي ما عُلم بالضرورة من أن الإنسان يفعل الشيء باختياره؟

الجواب: لا ينافيه؛ لأن ما يفعله الإنسان باختياره من قدر الله؛ كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ لما أقبل على الشام، وقالوا له: إن في الشام طاعونًا يفتك بالناس، فجمع الصحابة وشاورهم، فقال بعضهم: نرجع. فعزم على الرجوع، فجاء أمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح، فقال: يا أمير المؤمنين أفرارًا من قدر الله؟ فأجاب عمر: نفر من قدر الله إلى قدر الله»[٢].

- هل يجوز احتجاج العاصي بالقدر على فعل المعصية؟

الجواب: لا يصح احتجاج العاصي بالقدر على المعصية سواء أكانت ترك واجب، أم فعل محرم، فإذا قال العاصي: المعصية مقدرة عليّ، قيل له: وما يدريك أنها مقدرة، وهذا أمر لا يعلمه إلا الله تعالى، فاحتجاجه بالقدر باطل شرعًا وعقلًا:

---

(١) شرح ثلاثة الأصول: ١١٦-١١٧.

(٢) القول المفيد: ٣/ ٢١١.

١ - **أما الشرع**: فقد قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾، فهم قالوا هذا احتجاجًا بالقدر على معصية الله، فرد الله عليهم بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾ [الأنعام:١٤٨]، ولو كانت حجتهم صحيحة ما أذاقهم الله بأسه، وهذا دليل واضح على بطلان احتجاجهم بالقدر على معصية الله تعالى.

٢ - **أما العقل**: فإن «المحتج بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي، لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله، أو انتهك حرمته ثم احتج بالقدر، وقال: لا تلمني فإن اعتدائي كان بقدر الله، لم يقبل حجته. فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداءِ غيرِه عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى!

ويُذكر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه رُفع إليه سارق استحق القطع، فأمر بقطع يده فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإنما سرقت بقدر الله. فقال: ونحن إنما نقطع بقدر الله»[(١)].

- **هل يجوز الاحتجاج بالقدر على المصائب؟**

إذا وقع للمسلم مصيبة جاز له الاحتجاج بالقدر، كأن يسافر شخص، فيقع له حادث فيلومه الناس على ذلك، فيقول: إنما وقع لي هذا الحادث بأمر الله، وقدره، ؛ لأن وقوع المصيبة ليس من اختيار الإنسان.

وقد أرشد النبي ﷺ المؤمن عند وقوع المصيبة أن يستحضر كون ذلك من قدر الله، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ)[(٢)]، وقد ورد هذا في

(١) شرح ثلاثة الأصول: ١١٥ .

(٢) صحيح: أخرجه مسلم: (٢٦٦٤) .

الشرع كثيرًا، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ﴾ [الحديد]، فاستحضار كون المصائب من قدر الله على المؤمن مما يسليه، ويعينه على تحمل المصيبة، والصبر عليها، والجد والاجتهاد في حياته، وعدم الركون للعجز والكسل.

آثار الإيمان بالقدر:

للإيمان بالقدر آثار جليلة، منها[1]:

١- الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب، بحيث لا يعتمد المؤمن على السبب نفسه؛ لأن كل شيء بقدر الله تعالى، والسبب والمسبب من جملة قدر الله تعالى.

٢- راحة النفس وطمأنينة القلب؛ لأنه متى علم أن الله قد كتب رزقه وأجله وكل ما يجري له في الحياة، ارتاحت النفس، واطمأن القلب، ورضي بقضاء الرب، فلا أحد أطيب عيشًا، وأريح نفسًا، وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر.

٣- طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد، لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب الخير والنجاح، فيشكر الله تعالى على ذلك، ويدع الإعجاب.

٤- الثبات عند مواجهة الأزمات واستقبال مشاق الحياة بقلب ثابت ويقين صادق لا تزلزله الأحداث، ولا تهزه الأعاصير؛ لأنه يعلم أن هذه الحياة دار ابتلاء وامتحان وتقلب.

٥- عدم القلق والضجر عند فوات المراد، أو حصول المكروه؛ لأنه يعلم أن ذلك قضاء الله الذي له الحكم والأمر، وهو كائن لا محالة، فيصبر على ذلك، ويحتسب الأجر.

---

(١) انظر: شرح ثلاثة الأصول: ١١٥، الإرشاد: ٢٧٥.

المبحث السادس
نواقض الإيمان

نواقض الإيمان هي: «اعتقادات، أو أقوال، أو أفعال تزيل الإيمان وتقطعه»[١].

فكل اعتقاد، أو قول، أو فعل يزيل الإيمان، ويقطعه، وينقل الإنسان من الإيمان إلى الكفر يُعد من نواقض الإيمان، فيدخل في ذلك الشرك الأكبر، والكفر الأكبر، والنفاق الأكبر.

وسميت نواقض الإيمان بذلك؛ لأنها تنقض الإيمان، وتضاده، فالوقوع بأحدها يخرج الإنسان من الإسلام إلى الكفر، ويحبط سائر أعماله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝﴾ [المائدة].

بخلاف ما دونها من المعاصي فهي تُنقص الإيمان، مع بقاء أصله، ولا تَنْقضه وتزيله بالكليه، فأصل الإيمان باق في العاصي، بينما يزول مِنْ مُرتكب هذه النواقض، فلا يعود في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

أقسامها: تنقسم نواقض الإيمان إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: النواقض الاعتقادية:

وهي: كل اعتقاد يناقض الإيمان، ويهدمه بالكلية، ولها صور عديدة، منها:

١- الشك في وجود الله ﷻ، قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

٢- اعتقاد أن غير الله له تصرف في هذا الكون مع الله ﷻ، كالملائكة أو الأنبياء، أو الأولياء.

(١) نواقض الإيمان القولية والفعلية: ٤٩.

٣- الاعتقاد بأن لأحد حق تشريع ما لم يأذن به الله، من التحليل والتحريم وسائر أمور التشريع، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى:٢١].

٤- الاعتقاد بأن شرع الله ﷻ لا يصلح في هذا الزمان، أو في بعض البلدان.

٥- اعتقاد حلِّ شيء معلوم من الدين بالضرورة تحريمه، كالخمر والربا والزنا، أو اعتقاد تحريم شيء معلوم من الدين بالضرورة حله، كالنكاح والبيع، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوٰا﴾ [البقرة:٢٧٥].

٦- اعتقاد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه.

٧- بغض شيء مما جاء به الرسول ﷺ، ولو عمل به، وهو كفر بالإجماع، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٩﴾ [محمد].

٨- من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران].

٩- اعتقاد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي ﷺ، وأنه يسعه الخروج من شريعته، كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى عليه السلام.

١٠- إظهار الإسلام وإبطان الكفر، وهو النفاق الأكبر الاعتقادي.

ثانيًا: النواقض القولية:

وهي: كل قول يناقض الإيمان، ولو لم يكن معتقدًا هذا القول، فمن «تكلم بكلمة الكفر هازلًا، أو لاعبًا كفر عند الكل، ولا اعتبار باعتقاده»[1]، ومن صور النواقض القولية:

١- سب الدين، ومنه سب الله ﷻ، أو ملائكته، أو كتبه، أو رسله.

٢- الاستهزاء بالدين، ومنه الاستهزاء بالله ﷻ، أو ملائكته، أو كتبه، أو رسله، قال تعالى:

---

(١) البحر الرائق: ٥/ ١٣٤.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ ﴾ [التوبة].

٣- دعاء غير الله ﷻ، أو الاستغاثة بالأموات والغائبين عند الكرب والشدة، وهو شرك أكبر بالقول، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأحقاف:٥].

٤- إنكار معلوم من الدين بالضرورة، كإنكار الملائكة، أو البعث، أو الحساب.

٥- ادعاء علم الغيب، ومن ذلك التنجيم والكهانة وقراءة الفنجان، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ﴾ [النمل:٦٥].

٦- ادعاء النبوة، أو تصديق من يدعيها؛ لأنه تكذيب للقرآن والسنة.

٧- من كفر أبا بكر أو عمر، أو أحدًا من العشرة المبشرين بالجنة، أو ادعى أن الصحابة ﷺ ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ إلا عددًا يسيرًا منهم، وكذا سب جميع الصحابة، قال ابن حجر الهيتمي: «سب جميعهم لا شك أنه كفر، وكذا سب واحد منهم من حيث هو صحابي؛ لأنه استخفاف بالصحبة، فيكون استخفافًا به ﷺ»(١).

٨- قذف أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما بما برأها الله منه من فوق سبع سموات، قال تعالى: ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النور]، وقد نقل الإجماع على ذلك جماعة من العلماء، منهم القاضي أبو يعلى والنووي وابن كثير وغيرهم، وكذا من قذف غير عائشة رضي الله عنها من أمهات المؤمنين فهو كافر أيضًا على الصحيح من قولي العلماء.

---

(١) الصواعق المحرقة: ١/ ١٣٥، وسب الصحابة يؤدي إلى الطعن في القرآن والسنة؛ لأنهم نقلة القرآن والسنة، قال أبو زرعة الرازي: «إذا رأيتَ الرجلَ ينتقص أحدًا من أصحاب رَسُول الله ﷺ فاعلم أنَّهُ زنديقٌ، وذلك أن الرَّسول عندنا حقٌّ، والقرآن حقٌّ، وإنما أدَّى إلينا هذا القرآنَ والسننَ أصحابُ رَسُول اللهِ ﷺ، وإنما يريدُونَ أن يُجرِّحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح أولى بهمْ، وهم زنادقة». انظر: الكفاية: ٤٩.

ثالثًا: النواقض العملية:

وهي: كل فعل يناقض الإيمان، ومن صور ذلك:

١- عبادة غير الله ﷻ، كالسجود والركوع والذبح لغير الله، أو الطواف بالأضرحة والقبور تقربًا لأصحابها، وهو شرك أكبر بالعمل.

٢- تعلم السحر، والعمل به، وتعليمه للناس؛ لما فيه من الاستعانة بالجن والشياطين، قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢].

٣- الاستهانة بالمصحف، أو إلقاؤه في النجاسات، أو تعمد دوسه بالقدم على سبيل الاستخفاف به.

٤- مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، محبة لهم، ورغبة في ظهورهم على المسلمين، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١].

٥- الإعراض عن دين الله، لا يتعلمه، ولا يعمل به، ومنه ترك الصلاة بالكلية، وإن كان مقرًا بوجوبها؛ لقوله ﷺ: (**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**)(١).

فالصلاة من آكد أعمال الإيمان، ومن أعظم واجبات الدين، وأجلها، وهي من مظاهر الإيمان التي تمنع من تكفير فاعلها، أو إساءة الظن به، كما قال ﷺ: (**مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفِرُوا اللهَ فِي ذِمَّتِهِ**)(٢).

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي: (٢٦٢١)، والنسائي: (٤٦٣)، وابن ماجه: (١٠٧٩).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري: (٣٩١).

المبحث السابع

مسائل في العقيدة

المسألة الأولى: تحكيم الشريعة

تحكيم الشريعة والتحاكم إليها من أوجب الواجبات، ومن علامات الإيمان، بل إن الله ﷻ علق الإيمان على التحاكم للكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء].

ومما يبين عظم منزلة تحكيم الشريعة أنها من توحيد الربوبية[1]، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [الأعراف:٥٤]، وقرن الله بينها وبين توحيد الألوهية، قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف].

وقد حذر الله ﷻ من مخالفة أمره، وأمر رسوله ﷺ، فقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور].

«وبيّن تعالى أن الحكم بغير ما أنزل الله حكم الجاهلين، وأن الإعراض عن حكم الله تعالى سبب لحلول عقابه، وبأسه الذي لا يرد عن القوم الظالمين، يقول سبحانه: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة]، وإن القارئ لهذه الآية والمتدبر لها يتبين له أن الأمر بالتحاكم إلى ما أنزل الله، أُكد بمؤكدات ثمانية:

الأول: الأمر به في قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾.

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين: ٢/ ١٤٠.

الثاني: أن لا تكون أهواء الناس ورغباتهم مانعة من الحكم به بأي حال من الأحوال، وذلك في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾.

الثالث: التحذير من عدم تحكيم شرع الله في القليل والكثير، والصغير والكبير، بقوله سبحانه: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

الرابع: أن التولي عن حكم الله، وعدم قبول شيء منه ذنب عظيم موجب للعقاب الأليم، قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾.

الخامس: التحذير من الاغترار بكثرة المعرضين عن حكم الله، فإن الشكور من عباد الله قليل، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾.

السادس: وصف الحكم بغير ما أنزل الله بأنه حكم الجاهلية، يقول سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾.

السابع: تقرير المعنى العظيم بأن حكم الله أحسن الأحكام، وأعدلها، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾.

الثامن: أن مقتضى اليقين هو العلم بأن حكم الله هو خير الأحكام، وأكملها، وأتمها، وأعدلها، وأن الواجب الانقياد له، مع الرضا والتسليم، يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾»[1].

وتحكيم الشريعة واجب في جميع المنازعات والخصومات، وسائر شؤون الحياة، ولا يجوز تحكيم الشريعة في بعض الأمور دون بعض؛ لأن ذلك من الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء].

---

(١) وجوب تحكيم شرع الله: ١٠-١٢.

- **ما حُكْم من حَكَم بغير ما أنزل الله[١]؟**

هذه المسألة من المسائل الكبرى التي ابتلي المسلمون بها في هذا الزمان، فعلى المرء أن لا يتسرع بإطلاق الحكم حتى يتبين له الحق، مستمدًا العلم من أهله، فقد بين أهل العلم أن من حكم بغير ما أنزل الله، كمن يحكم القوانين الوضعية، أو العادات القبلية، أو غيرها له حالتان:

الأولى: أن يحكم بغير ما أنزل الله وهو يرى جواز ذلك، أو يعتقد أن حكم غير الله أصلح وأنفع للناس من حكم الله، أو سوى بين حكم الله وحكم غيره، أو اعتقد أن شرع الله لا يصلح لهذا الزمان، فهو كافر كفرًا أكبر مخرجًا من الملة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء:٦٠].

الثانية: من حكم بغير ما أنزل الله وهو يرى أنه أمر محرم، وأن تحكيم الشريعة واجب، وأن حكم الله هو الأصلح والأنفع للناس، وإنما حكم بغير ما أنزل الله لهوى في نفسه، أو لمنفعة دنيوية كتحصيل مال، أو محاباة أحد، أو غير ذلك من أمور الدنيا، فهو كافر كفرًا أصغر غير مخرج من الملة، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة]، فسرها ابن عباس بالكفر الأصغر، وقال عطاء: «كُفرٌ دُونَ كُفرٍ»[٢].

قال ابن القيم: «الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين: الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم، فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة، وعدل عنه عصيانًا، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا كفر أصغر، وإن اعتقد أنه غير واجب، وأنه مخير فيه، مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر»[٣].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين: ٢/ ١٤٠-١٤٦، شرح ثلاثة الأصول: ١٥٨، إعانة المستفيد: ٢/ ١٣٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٨/ ٤٦٤-٤٦٦.

(٣) مدارج السالكين: ١/ ٣٤٦.

المسألة الثانية: حكم أهل المعاصي

المراد بالمعاصي هنا: كبائر الذنوب التي هي دون الشرك الأكبر والكفر الأكبر والنفاق الأكبر، كالربا والزنا وشرب الخمر ونحوها.

والكبائر هي: «كل ذنب رُتب عليه حد، أو تُوعد عليه بالنار أو اللعنة أو الغضب»(١).

وهذه المسألة من المسائل المهمة التي ينبغي دراستها، ومعرفة حكمها، سيما في هذه الأيام التي حدثت فيها فتن في بعض بلاد المسلمين فتجرأ حدثاء الأسنان ـ دون علم شرعي ـ على تكفير بعض المسلمين بسبب ارتكابهم شيئًا من الكبائر، فأدى ذلك إلى استحلال دماء مسلمين معصومة، ووقع القتل دون مسوغ شرعي.

ومذهب أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة من المسلمين بيِّنٌ واضحٌ نصت عليه الأدلة الشرعية، وبينه العلماء بيانًا شافيًا، فكان الواجب على كل مسلم أن يستنير بأقوال أهل العلم الراسخين قبل أن يتجرأ على الحكم على أهل المعاصي من المسلمين.

مذهب أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة:

يرى أهل السنة والجماعة أن مرتكب الكبيرة من المسلمين في هذه الدنيا: مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، فلا يخرج من دائرة الإيمان، ويقولون: هو مؤمن ضعيف الإيمان، أو ناقص الإيمان، وله حكم ما فعله من المعاصي بالتفسيق، وإقامة الحد الواجب بحسب ما ورد في الشرع؛ لكنه لا يخرج من الملة، ولا يحكم بكفره.

والدليل على بقاء الإيمان قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩]، فأثبت الإيمان مع وجود المعصية، وهي القتال.

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ [البقرة:١٧٨]، فأثبت الله تعالى للقاتل الأخوة

---

(١) انظر: شرح الطحاوية: ٢/ ٥٢٤، أعلام السنة المنشورة: ١١١.

الإيمانية، وهو مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب.

وأما في الآخره فإذا مات مرتكب الكبيرة من المسلمين ولم يتب منها: فأمره إلى الله إن شاء عذبه بقدر معصيته، لكنه لا يُخلَّد في النار ما دام من الموحدين، وإن شاء الله عفا عنه بمنه وكرمه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:١١٦].

المخالفون في حكم مرتكب الكبيرة:

ومذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة وسط بين الفرق الضالة، التى افترقت على قولين[(١)]:

الأول: قول الخوارج والمعتزلة، ففي الدنيا: يسلبونه الإيمان، فهو ليس بمؤمن عندهم، فالخوارج يقولون: هو كافر، والمعتزلة يقولون: هو في منزلة بين المنزلتين.

وفي الآخرة: اتفقوا على أنه خالدٌ مخلدٌ في النار، واستدلوا بنصوص الوعيد، كقول الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١﴾ [البقرة].

الثاني: قول المرجئة، فيرون أنه في الدنيا مؤمن كامل الإيمان، وفي الآخرة من أهل الجنة، ولا يدخل النار، ، واستدلوا بنصوص الوعد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر].

قال ابن أبي العز: «وإذا اجتمعت نصوص الوعد التي استدلت بها المرجئة، ونصوص الوعيد التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة تبين لك فساد القولين، ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفة فساد مذهب الطائفة الأخرى»[(٢)].

---

(١) انظر: الفصل في الملل: ٤/ ٣٧، شرح الطحاوية: ٢/ ٥٢٤.

(٢) شرح الطحاوية: ٢/ ٤٤٤.

قال شيخ الإسلام: «والتحقيق أن يقال: الكتاب والسنة مشتمل على نصوص الوعد والوعيد، وكل من النصوص يفسر الآخر ويبينه، فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط؛ لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله، فكذلك نصوص الوعيد للكفار والفساق مشروطة بعدم التوبة؛ لأن القرآن قد دل على أن الله يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب، وهذا متفق عليه بين المسلمين، وجَعَل للسيئات ما يوجب رفع عقابها، كما جعل للحسنات ما قد يبطل ثوابها، لكن ليس شيء يبطل جميع السيئات إلا التوبة، كما أنه ليس شيء يبطل جميع الحسنات إلا الردة»[1].

---

(١) مجموع الفتاوى: ١٢/ ٤٨١-٤٨٢، باختصار.

المسألة الثالثة: تكفير المعيّن

التكفير حكم شرعي، مردّه إلى الله ورسوله، فكما أن التحليل والتحريم إلى الله ورسوله، فكذلك التكفير، ولما كان مَرَدّه إلى الله ورسوله؛ لم يَجُز أن نكفر إلا مَن دَل الكتاب والسُّنَّة على كفْرِه دلالة واضحة، فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظن، لِمَا يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة، فإن الحكمَ على المسلمِ بالكفر حُكْمٌ عليه بالخروج من الإسلام، وأنه حلال الدم والمال، وتجري عليه سائر أحكام المرتد من فسخ النكاح وعدم التوريث وغيرها، ولذلك حذر النبي ﷺ من الحكم بالتكفير على من ليس بكافر، فقال: (أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ)[1]، وعن جندب ﷺ أن رسول الله ﷺ حدث: (أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ)[2].

قال الشيخ عبداللطيف آل الشيخ: «التجاسر على تكفير من ظاهره الإسلام من غير مستند شرعي، ولا برهان مرضي يخالف ما عليه أئمة العلم من أهل السنة والجماعة، وهذه الطريقة هي طريقة أهل البدع والضلال، ومن عُدِم الخشيةَ والتقوى فيما يصدر عنه من الأقوال والأفعال»[3].

ومذهب أهل السنة والجماعة يفرق بين التكفير المطلق، وهو الحكم على الفعل بالكفر، وتكفير المعيَّن، وهو الحكم على فاعله، فيطلقون الحكم بالكفر على الفعل كما سبق ذكره في نواقض الإيمان، فمن سب الله، أو استهزأ بالدين، أو انكر معلومًا من الدين بالضرورة كفر.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري: (٦١٠٤)، ومسلم: (٦٠).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم: (٢٦٢١).

(٣) الدرر السنية: ١٠/ ٤٢٣.

لكن المسلم المعيَّن الذي يفعل تلك النواقض أو المكفرات لا يُتسرع بالحكم عليه بالكفر حتى يتبين حاله، وتقام عليه الحجة، وتوضح له المحجة، قال شيخ الإسلام: «التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعيَّن، وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعيَّن؛ إلا إذا وُجدت الشروط، وانتفت الموانع، يُبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه»(١).

والمتأمل للنصوص الشرعية يرى فيها ما يدل دلالة بيِّنة على ذلك، فقد روى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللهُ الأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ)(٢).

فهذا الرجل شك في قدرة الله تعالى، فاعتقد أن الله لا يقدر على إعادته، وهذا كفر باتفاق المسلمين، ولكن الله غفر له؛ لأنه كان جاهلًا لم يتبين له الحق، ولم يجحد قدرة الله على إعادته عنادًا، أو تكذيبًا.

وقد ينطق المسلم بكلمة بالكفر؛ لغَلَبَةِ فرحٍ أو غضب ونحوهما، فلا يَكْفُر بها؛ لعدم القصد، كما في قصة الذي قال: (اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ)(٣).

• ضوابط تكفير المعيَّن:

بين العلماء عددًا من الضوابط التي يجب اعتبارها عند الحكم على معين بالكفر، ومن

---

(١) مجموع الفتاوى: ١٢/ ٤٨٧-٤٨٨.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري: (٣٤٨١)، ومسلم: (٢٧٥٦).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم: (٢٧٤٧).

تلك الضوابط[١]:

الأول: دلالة النصوص الشرعية الصحيحة على أن الفعل الذي فعله يُعد من نواقض الإسلام، التي تُخرج من فعلها من الملة؛ لئلا يفتري على الله الكذب.

الثاني: انطباق الحكم على الشخص المعيَّن، بحيث تتوافر فيه شروط الحكم على المسلم المعيَّن بالكفر، وانتفاء الموانع:

أ- فمن الشروط: أن يكون عالمًا بأن هذا الفعل مكفِّر، وأن يكون متعمدًا، مختارًا.

ب- ومن الموانع: الجهل، والإكراه، وأن يُغلق عليه فكره، أو أن يكون متأولًا[٢].

قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ﴾ [الأحزاب:٥].

الثالث: أن الحكم على مسلم معين بالكفر من اختصاص العلماء الراسخين، فليس لعامة الناس، ولا لطلاب العلم الصغار الحكم على مسلم معين، أو على جماعة معينة من المسلمين بالكفر دون الرجوع للعلماء في ذلك، قال تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [النحل]، فالعلماء الراسخون رزقهم الله الفقه في الدين، وفهم النصوص، وعندهم من الخشية والتقوى ما يكون سببًا في توقيهم الخطأ والزلل، ويعينهم على العدل في القول، وعدم التسرع في الفتوى، والتورع عن القول على الله بلا علم.

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين: ٢/ ١٢٥-١٢٦، ضوابط تكفير المعين: ١٠، ١١، ٢٦، ٣١، ٣٣.

(٢) انغلاق الفكر قد يكون لشدة فرح أو حزن أو غضب، كالذي قال: (اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح)، «والتأويل: أن يرتكب المسلم أمرًا كفريًا معتقدًا مشروعيته، أو إباحته له؛ لدليل يرى صحته، أو لأمر يراه عذرًا له في ذلك وهو مخطئ في ذلك كله». ضوابط تكفير المعين: ١٦.

المسألة الرابعة: الاستهزاء بالدين

خطر الاستهزاء بالدين:

من مقتضيات الإيمان بالله تعالى تعظيم شعائر دينه، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج].

والاستهزاء بالدين دليلٌ على عدم الإيمان، وعدم تعظيم الله ﷻ الذي شرع هذا الدين، وارتضاه للعالمين، ولذا كان الأنبياء يتعرضون للاستهزاء من قبل أقوامهم الذين كفروا، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [هود].

كما أن الاستهزاء بالدين من سُبل المشركين للصد عن قبول دعوة المرسلين، والتي كانوا يستخدمونها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المطففين].

والاستهزاء بالدين من خُلق المنافقين الذين اعتادوا السخرية من المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [التوبة].

حكم الاستهزاء بالدين:

الاستهزاء بالدين ناقض من نواقض الإسلام، وكفر أكبر مخرج من الملة، ولا فرق فيه بين الجاد والهازل، ولو كان مجرد قول باللسان على سبيل اللعب، ولم يصاحبه اعتقاد بالقلب، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ ﴾ [التوبة].

وسبب نزول هذه الآية كما جاء من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال: (قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أَرْغَبَ بُطُونًا، ولا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً، ولا أَجْبَنَ عندَ اللقاءِ، فقال رجل في المجلس: كذبتَ، ولكنك منافقٌ، لأخبرنَّ رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك النبي ﷺ، ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر: فأنا رأيته مُتعلِّقًا بحَقَبِ ناقة رسول الله ﷺ، تَنْكُبُهُ الحجارةُ، وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾)(١).

صور الاستهزاء بالدين:

للاستهزاء بالدين صور كثيرة فقد يكون بالقول، وقد يكون بالفعل، ومن ذلك:

١- الاستهزاء بالله ﷻ، وهو أعظم أنواع الاستهزاء، ومن ذلك وصفه بصفات النقص، كما حكى الله عن اليهود، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤].

٢- الاستهزاء بالقرآن الكريم، أو بشيء من آياته، أو ما جاء فيه من وعد ووعيد، أو غير ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩﴾ [الجاثية].

٣- الاستهزاء بالرسول ﷺ، وهو فعل من لم يخالط الإيمان قلبه، أو كان منافقًا يُظهر الإيمان ويُبطن الكفر، وقد شدد الله عقوبة ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۝٤١﴾ [الفرقان].

٤- الاستهزاء بالمؤمنين، فإن الاستهزاء بالمؤمنين؛ لالتزامهم بما شرع الله دليل على عدم تعظيم هذا الشرع، ووجود النفاق في قلب فاعله، وقد غَلَّظَ الله العقوبة لمن فعل ذلك،

---

(١) حسن: أخرجه ابن جرير: ١١/ ٥٤٣، وابن أبي حاتم: ٦/ ١٨٢٩.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [التوبة]، وذلك أن المنافقين يعلمون أنهم إذا استهزوا بالله أو برسوله أو بالقرآن تبين نفاقهم، ولم تتابعهم العامة من الناس، فيلجأون للاستهزاء بالمؤمنين، وبما يلتزمونه من شعائر الدين، وقد جعل الله ذلك استهزاءً به وبآياته وبرسوله، كما في قصة المنافقين في غزوة تبوك، فإنهم إنما سخروا من بعض الصحابة، فأنزل الله تعالى ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [التوبة].

وقد حذر النبي ﷺ من سقطات اللسان التي قد تُوقع المسلم في ذنب عظيم كالاستهزاء بالدين، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ)، وفي لفظ: (إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله، لا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله، لا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)[1].

ولذا يجب على المسلم أَنْ يحذر من زلات اللسان، وأَنْ لا يتكلم إلا بما يعلم أنه يرضى الله ﷻ، ويتجنب رفقاء السوء الذين يزينون له الباطل، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام].

(١) صحيح: أخرجه البخاري: (٦٤٧٧-٦٤٧٨)، ومسلم: (٢٩٨٨).

المسألة الخامسة: الغلو في الدين

أولًا: تعريف الغلو:

الغلو في اللغة[1]: مجاوزة الحد في الشيء.

وفي الاصطلاح[2]: «المبالغة في الأمر، والتشديد فيه بتجاوز الحد الشرعي».

والمراد بتجاوز الحد الشرعي: الزيادة على ما شرعه الله سواء أكان مما أمر الله به أو نهى عنه، أو أباحه لعباده، فإن لكل ما شرعه الله حدًا لا يجوز تعديه، أو تجاوزه، فمن تجاوز نهايات ما شرعه الله فقد وقع في الغلو[3].

فالضابط لكل ما يوصف بالغلو هو تجاوزه الحد الشرعي المنصوص عليه في الكتاب والسنة، ولا يجوز وصف الأمر بأنه غلو بمجرد اعتقاد الشخص بأن في هذا الأمر تشديد، فإن المرء قد يكره أمرًا، ويرى أن فيه شدة وتجاوزًا للحد، وهو مما أمر به الشرع، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ)[4].

ثانيًا: خطر الغلو في الدين:

الغلو هو سبب انحراف كثير من الأمم عن دينها؛ فإن أول شركٍ ظهر في بني آدم كان بسبب الغلو في الصالحين، ولذا جاء التحذير منه في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء:171]، وقال النبي ﷺ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ)[5].

---

(1) انظر: لسان العرب مادة (غلو): 15/ 132.

(2) انظر: الاعتصام: 1/ 392، الغلو في الدين: 81.

(3) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام: 3/ 362.

(4) صحيح: أخرجه البخاري: (6487)، ومسلم: (2823).

(5) صحيح: أخرجه النسائي: (3057)، وابن ماجه: (3029)، واللفظ له.

ثالثًا: أنواع الغلو في الدين:

الغلو ينقسم إلى نوعين، هما[١]:

١ - **الغلو الاعتقادي**: وهو المتعلق بكليات الشريعة، ومسائل العقيدة، كالغلو بالنبي ﷺ ورفعه فوق منزلته، أو الغلو ببعض الصحابة والأولياء، وادعاء عصمتهم، أو الغلو في البراءة من المجتمع الذي تكثر فيه المعاصي، وتكفير الناس عامة في تلك المجتمعات.

وهذا الغلو أشد نوعي الغلو خطرًا على الدين، وبسببه ظهرت الفرق الضالة في الإسلام، و«ذلك أن هذه الفرق إنما تصير فرقًا بخلافها للفرقة الناجية في معنى كُلِّيٍّ في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات»[٢]، فالفرق الضالة كالخوارج والرافضة والمعتزلة خالفت أهل السنة و الجماعة في كليات الدين، ومسائل الاعتقاد.

٢ - **الغلو العملي**: وهو ما كان متعلقًا بجزئية أو أكثر من جزئيات الشريعة الإسلامية، ولا تعلق له بالعقيدة، أو بالكليات، فهو محصور في جانب الفعل سواء أكان قولًا باللسان، أو عملًا بالجوارح.

وإذا تعددت أبواب هذا الغلو العملي قد يصل بالمرء إلى الغلو الاعتقادي، ويصبح ضرره كالضرر المترتب على الغلو الاعتقادي، ولذا حذر النبي ﷺ من ذلك، فعن أنس ﷺ قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: (أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا

(١) الغلو في الدين: ٧٠-٨٠.

(٢) الاعتصام: ٢/ ٧١٢.

وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)[١]، فاستنكر النبي ﷺ هذا الغلو وجعله خروجًا عن سنته، ومخالفًا لهديه ﷺ.

كما أن الله ﷻ نهى عن تحريم ما أحل لعباده من الطيبات تعبدًا وتنسكًا، وجعل ذلك تعديًا لحدوده التي شرعها، فقال سبحانة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [المائدة].

رابعًا: صور الغلو في الدين:

للغلو في الدين صورًا كثيرة، ومنها:

١- تكفير بعض المسلمين؛ لارتكابهم شيئًا من كبائر الذنوب كالربا والزنا، وقد سبق الكلام عن حكم أهل المعاصي، وتكفير المعين من المسلمين، وأن هذا يؤدي إلى استحلال دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم.

٢- تكفير بعض المجتمعات الإسلامية؛ بسبب انتشار المعاصي والمنكرات، وهذا أعظم من تكفير الأشخاص؛ لأنه تكفير عام يشمل العصاة والصالحين، وبسبب هذا الغلو يُستحل قتل الناس عامة دون تمييز عن طريق التفجيرات الانتحارية التي تحدث في بلاد المسلمين، ولا شك أن هذا خطر عظيم، وغلو فاحش في الدين.

٣- تكفير حكام المسلمين؛ بسبب إصرارهم على بعض الكبائر، أو اعتقاد وقوعهم في شيء من نواقض الإسلام، وينشأ هذا بسبب التسرع في الحكم على المعيَّن من المسلمين بالكفر، وتصدر حدثاء الأسنان للفتيا في المسائل الكبار، وعدم الرجوع لأهل العلم

(١) صحيح: أخرجه البخاري: (٥٠٦٣).

الراسخين، وقد تقدم الكلام عن ذلك في مسألة تكفير المعيَّن، ولا شك أن هذا النوع من التكفير أخطر مما سبق؛ لأنه يؤدي للخروج على الحاكم، ونقض الطاعة في بلاد مسلمة، تُظهر الاسلام، وتُقيم شعائره، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك أشد التحذير؛ لما يترتب عليه من المفاسد العظيمة من إشاعة الفوضى، وانتشار القتل، والتعدي على الأموال والأعراض، قال عبادة بن الصامت ﷺ: (دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ)(١). قال ابن أبي العز: «وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا؛ فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات، ومضاعفة الأجور»(٢).

٤- الغلو في القبور، ببناء الأضرحة والقباب عليها و«تطييبها وتبخيرها وغير ذلك من أنواع الغلو فيها، وقد أبدى النبي ﷺ، وأعاد في النهي عن الغلو في القبور عمومًا، وفي قبره ﷺ خصوصًا»(٣)، فقد ذكرت أم سلمة لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها: مارية، وذكرت له ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله ﷺ: (أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ)(٤). وعن عائشة وعبد الله بن عباس ﷺ، قالا: لما نُزِلَ برسول الله ﷺ طَفِقَ يطرح خَمِيصةً له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: (لَعْنَةُ اللهِ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري: (٧٠٥٥)، ومسلم: (١٧٠٩).

(٢) شرح الطحاوية: ٢/ ٥٤٣.

(٣) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم: ١/ ١٣٨.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري: (٤٣٤)، ومسلم: (٥٢٨).

عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ). يحذر ما صنعوا [١].

٥- التشديد على النفس بزيادة العبادة فوق ماشرعه الله، فإن النبي ﷺ لما بلغه أن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما يصوم الدهر، ويقرأ القرآن كل ليلة، نهاه عن ذلك، وقال له: (فَلاَ تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا) [٢].

٦- ومما يجدر ذكره هنا من صور الغلو ما ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته: (الْقُطْ لِي حَصًى)، فلقطت له سبع حصيات، هن حصى الخذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول: (أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ، فَارْمُوا)، ثم قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ) [٣].

فالنبي ﷺ في هذا الحديث ينهي عن الغلو في حصى الجمار، والمبالغة في حجمها، ونرى اليوم من بعض الحجاج عجبًا في مخالفة أمر النبي ﷺ في ذلك، وكيف أن الغلو حول هذه العبادة التي شُرعت لإقامة ذكر الله إلى سب ولعن للشيطان، وصُرف أولئك الحجاج عن ذكر الله في هذا الموضع الجليل، وهذا من الانحراف عن الشرع المطهر، وعدم إدراك مقاصد العبادة، وهو من تلبيس إبليس على الناس.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري: (٤٣٥)، ومسلم: (٥٣١).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري: (١٩٧٥)، ومسلم: (١١٥٩)، ومعنى (زورك) أي ضيفك الذي يزورك.

(٣) صحيح: أخرجه النسائي: (٣٠٥٧)، وابن ماجه: (٣٠٢٩)، واللفظ له.

المسألة السادسة: الولاء والبراء

أولاً: تعريف الولاء والبراء في الشرع:

أ- في اللغة: الولاء في اللغة: المحبة والنصرة، والبراء: البعد والمفارقة [١].

ب- تعريف الولاء والبراء في الإصطلاح[٢]:

الولاء: هو «محبة المؤمنين، ونصرتهم، وأداء حقوقهم الإيمانية».

والبراء: هو «بغض الكافرين، والبعد عنهم، وعداوتهم، والبراء من اعتقادهم الباطل».

فتجب محبة المؤمنين؛ لأجل إيمانهم بالله، ونصرتهم على أعدائهم، وأداء حقوقهم الإيمانية كالنصح لهم، ومحبة الخير لهم، وغير ذلك من الحقوق التي وردت في النصوص الشرعية.

ويجب على المؤمن أن يبغض أعداء الله من المنافقين والكفار؛ لأجل ما هم عليه من الكفر بالله، ويتبرأ مما يدينون به من الاعتقادات الكفرية، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

ثانيًا: حكم الولاء والبراء:

الولاء والبراء واجبان على المؤمنين، ومن أعظم لوازم لا إله إلا الله، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف].

وهما من أوثق عرى الإيمان، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ)[٣].

---

(١) انظر: لسان العرب: مادة (ولي): ١٥/ ٤٠٧، مادة (برأ): ١/ ٣١.

(٢) انظر: الولاء والبراء: ٨٩-٩٠، الموالاة والمعاداة: ١/ ٢٧-٣١.

(٣) حسن: أخرجه الإمام أحمد: (١٨٥٢٤)، والطيالسي: (٧٨٣).

ثالثًا: مظاهر الولاء المشروع(١):

١- محبة المؤمنين جميعًا، في كل زمان ومكان، ومن أي جنسية كانوا؛ لأجل إيمانهم وطاعتهم وعبادتهم لله تعالى، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)(٢).

٢- نصرة المسلمين ماديًا ومعنويًا في كل مكان، قال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ [الأنفال:٧٢].

٣- مساعدتهم ومعاونتهم بالنفس والمال عند الحاجة، سواء كانوا أفرادًا، أو جماعات.

٤- التألم لألمهم، والفرح بسرورهم، فعن النعمان بن بشير ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)(٣).

٥- النصح لهم، ومحبة الخير لهم، وعدم غشهم وخديعتهم، فعن تميم الداري ﷺ أن النبي ﷺ قال: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ)، قلنا: لمن؟ قال: (لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)(٤).

٦- أداء حقوقهم الإيمانية كرد السلام وتشميت العاطس وزيارة المريض، واحترامهم وتوقيرهم، وعدم تَنَقُّصِهم وعيبهم، والرفق بفقرائهم، وغير ذلك من الحقوق.

---

(١) انظر: الإرشاد: ٢٨٤، تسهيل العقيدة: ٥٥٥.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم: (٥٤).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري: (٦٠١١)، مسلم: (٢٥٨٦)، واللفظ له.

(٤) صحيح: أخرجه مسلم: (٥٥).

رابعًا: مظاهر الولاء المحرم(١):

١- محبة الكفار، ومودتهم، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢].

٢- التشبه بالكفار، فيحرم التشبه بهم فيما هو من خصائصهم في عاداتهم أو عباداتهم، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ) قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: (فَمَنْ!)(٢)، «وهذا الحديث من معجزاته ﷺ، ولهذا ترى كثيراً من المسلمين والمسلمات اليوم يقلدون الكفار في كثير من الأمور، حتى فيما لا فائدة لهم فيه، كهيئة اللباس، وهيئة شعر الرأس، وحلق شعر العارضين والذقن، حتى إن من المسلمين والمسلمات من يبحث في المجلات أو غيرها عن آخر ما يفعله الكفار في الغرب أو الشرق فيفعله»(٣)، وهو ما يسمونه بالموضة، والتقليعات، ومعلوم أن من يقلد غيره يرى أن من قلده أفضل منه، وأرفع قدرًا، وفي هذا احتقارٌ لذاته، وهو مما لا يليق بالمسلم تجاه الكافر.

٣- الإقامة الدائمة في بلاد الكفار، والتجنس بجنسيتهم، فلا يجوز للمسلم الإقامة الدائمة في بلاد الكفار، أو التجنس بجنسيتهم؛ لأن ذلك يتضمن الموافقة على دساتيرهم وقوانينهم، والتحاكم إلى غير شرع الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا

---

(١) انظر: الإرشاد: ٢٨٠، تسهيل العقيدة: ٥٥٩.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري: (٧٣٢٠)، ومسلم: (٢٦٦٩).

(٣) تسهيل العقيدة: ٥٩١.

﴿يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ [النساء]، فاستثنى الله ﷻ من لا يستطيع الهجرة، ولم يعذر القادر عليها[1].

٤- مشاركة الكفار في أعيادهم، وتهنئتهم بها، كعيد نهاية السنة الميلادية المسمى بـ«عيد الميلاد»، أو «الكريسماس»، وعيد النيروز، وغيرهما، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان:٧٢]. فسر بعض السلف ﴿ٱلزُّورَ﴾ هنا بأعياد الكفار، وكذلك يحرم اتخاذ أعيادهم أعيادًا للمسلمين، وهذا داخل في التشبه بهم.

٥- اتخاذهم بطانة؛ بأن يستعين بالكافر في أمور المسلمين التي تمكنه من الاطلاع على أسرارهم، وبواطن أمورهم، وجعلهم مستشارين وأعوانًا له في ذلك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران:١١٨].

٦- موالاة الكفار وإعانتهم على المسلمين بأي نوع من أنواع الإعانة بالنفس أو المال، أو نقل الأخبار لهم، وغير ذلك، قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١].

- وقد قسم العلماء موالاة الكفار إلى قسمين[2]:

الأول: موالاة عامة مطلقة: وهي إعانتهم محبةً لهم، ورغبةً في انتصارهم على المسلمين، وهذا كفر أكبر مخرج من الملة، ويسميها بعض العلماء: (التولي) تفريقًا بينها وبين الموالاة الخاصة.

---

(١) ولهذه المسألة تفصيل لا يتسع المقام لذكره هنا، وللمزيد انظر: حكم اللجوء والإقامة في بلاد الكفار للشثري، فتاوى اللجنة الدائمة: ٢/ ٦٩، مجموع فتاوى ابن عثيمين: ٣/ ٢٥، تسهيل العقيدة: ٥٦٠ و٥٧٤.

(٢) انظر: الموالاة والمعاداة: ١/ ٣٣.

الثاني: موالاة خاصة: وهي إعانتهم لغرض دنيوي، مع عدم محبتهم، وسلامة الاعتقاد، فهذه كبيرة من كبائر الذنوب، ولكنها لا تعد كفرًا مخرجًا من الملة.

وهذا القسم يتنزل عليه فعل حاطب بن أبي بلتعة ﷺ عندما أرسل للمشركين قبل فتح مكة كتابًا يخبرهم عن قدوم رسول ﷺ، فلما سأله النبي ﷺ، قال ﷺ: (أَحْبَبْتُ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا، وَلاَ رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ)[1]، فدل على أنه فعل ذلك لمصلحة دنيوية، فلم يحكم النبي ﷺ بكفره.

خامسًا: أنواع التعامل المشروع مع الكفار:

إن البراء من الكفار[2] لا يعني عدم جواز التعامل معهم، بل إن هناك أمورًا شرعها لنا الإسلام تجاههم، فدين الإسلام دين رحمة وعدل مع الناس كافة، فمن ذلك[3]:

١- وجوب دعوتهم للإسلام، وهو من فروض الكفاية، والرسل إنما أرسلوا لدعوتهم لعبادة الله وحده، وترك ما هم عليه من الكفر بالله، والشرك به.
٢- يحرم إكراههم على الدخول في الإسلام، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦].
٣- وجوب حماية الكفار من أهل الذمة والمستأمنين في بلاد المسلمين، قال تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ﴾ [التوبة:٦].
٤- تحريم الاعتداء على الكافر المسالم كالذمي والمستأمن والمعاهد، سواء أكان اعتداءً على ماله أو بدنه بضرب أو قتل، فقد روى عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (مَنْ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري: (٣٠٠٧)، ومسلم: (٢٤٩٤).

(٢) الكفار قسمين: أ) كفار مسالمون، وهم ثلاثة أصناف: ١- الذمي: وهو من يقيم في بلاد المسلمين إقامة دائمة وأعطاهم المسلمون ذمتهم. ٢- المعاهد: وهو من يقيم في بلاده وبينه وبين المسلمين معاهدة أو صلح. ٣- المستأمن: وهو من يدخل إلى بلاد المسلمين بإذنهم وأمانهم للإقامة الموقتة لعمل أو غيره. ب) كفار محاربون، وهو من سوى الأصناف الثلاثة. انظر: الموالاة والمعادة: ٢/ ٧٣٢.

(٣) انظر: تسهيل العقيدة: ٦٠٠.

قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا)[١].

٥- وجوب العدل عند الحكم عليهم، أو بينهم، أو بينهم وبين المسلمين، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨].

٦- يحرم أن يسيء المسلم إلى الكافر المسالم غير المحارب بالقول أو الفعل، ويحرم ظلمهم، وغشهم في البيع والشراء، وانتقاص حقوقهم إذا كانوا يعملون عند المسلمين، أو تكليفهم فوق طاقتهم، قال ﷺ: (أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[٢].

٧- يجوز التعامل مع الكفار في المباح من الأمور الدنيوية كالبيع والشراء، فقد كان النبي ﷺ وأصحابه يتعاملون مع اليهود في المدينة في البيع والشراء وغير ذلك.

٨- يجوز الإحسان إلى الكافر غير المحارب، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ [الممتحنة]، كما يجوز التلطف له بالقول، وتحيته بغير السلام، وتعزيته في مصيبته، وتهنئته بأمور الدنيا المباحة كالزواج والمولد إذا اقتضت المصلحة الشرعية ذلك، كترغيبه في الإسلام، أو كان فيه دفع ضرر عن المسلم، أو جلب منفعة مباحة له.

٩- يجوز دفع الزكاة لمن يرجى إسلامه من الكفار، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة:٦٠].

وهذه الأمور من أعظم ما يدل على سماحة هذا الدين، وحبه الخير للناس جميعًا، فأين من ينتقد الإسلام في تعامله مع الآخر عن هذه التعاليم العظيمة التي تدل على العدل والإنصاف، وتبين الرحمة التي جاء بها الإسلام، وحب الهداية لغير المسلمين.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري: (٣١٦٦).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود: (٣٠٥٢).

الفصل الثالث

العبادة في الإسلام

المبحث الأول: مفهوم العبادة في الإسلام.

المبحث الثاني: أركان العبادة وشروطها.

المبحث الثالث: دوافع العبادة وحِكمها.

المبحث الرابع: مفاهيم وممارسات خاطئة في العبادة.

المبحث الأول

مفهوم العبادة في الإسلام

أولاً: تعريف العبادة:

العبادة في اللغة مأخوذة من الذُّلّ والخضوع، يقال: طريق معبدٌ إذا كان مذلّلًا بكثرة الوطء، فمعنى العبادة في اللغة: الطاعة مع الذل والخضوع [1].

وفي الإصطلاح: عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بأنها:

«اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة» [2].

فمن الأقوال والأعمال الظاهرة: الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وصدق الحديث، وأداء الامانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعاء، والذكر، وقراءة القرآن الكريم.

ومن الأعمال الباطنة: حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضاء بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه.

ثانيًا: أهمية العبادة في الإسلام ومنزلتها:

العبادة هي الغاية المحبوبة لله، والمرضية له، التي خَلَقَ الخَلْقَ لها، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات].

---

(١) انظر مادة (عبد) في: تهذيب اللغة: ٢/ ١٣٨، لسان العرب: ٣/ ٢٧٣، تاج العروس: ٨/ ٣٣٠.

(٢) العبودية: ٤٤.

ولقد بُعثت الرسل إلى أقوامها للدعوة إلى إفراد الله ﷻ بالعبادة ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ [النحل: ٣٦].

وجعل الله العبادة لازِمًا لرسوله ﷺ حتى الموت، قال تعالى: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر].

وهي من أشرف ما وصف الله به الملائكة والأنبياء، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ [الإسراء: ١].

وذم الله المستكبرين عنها، فقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر].

والدين كله داخل في العبادة، كما جاء في سؤال جبريل للنبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وكلها داخلة في العبادة، وفي آخر الحديث قال ﷺ: (هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ) (١).

ثالثًا: المفهوم الشامل للعبادة في الإسلام

مما تقدم يتبن لنا أن للعبادة مفهومًا شاملًا في الإسلام، فلا تقتصر العبادة على ما افترضه الله على عباده من صلاة وصيام وحج؛ بل تشمل العبادة كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الباطنة والظاهرة، فيدخل في هذا المفهوم الشامل كل عمل يحتسبه العبد عند الله،

(١) صحيح: أخرجه البخاري: (٥٠)، ومسلم: (٩)، من حديث أبي هريرة ﷺ. وانظر: العبودية: ٤٤-٤٨.

حتى لو كان مما يعده الناس من العادات كالأكل والنوم ونحوهما، فمتى استعان المسلم بأي فعل على صلاة أو صيام كان له به أجر، فهذا معاذ ﷺ يقول: «أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَأَقُومُ وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئِي مِنَ النَّوْمِ، فَأَقْرَأُ مَا كَتَبَ اللهُ لِي، فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي»(١).

بل إن ترك المحرمات داخل في العبادة، «فإن العبد إذا اجتنب المحرمات، مبتغيًا بذلك وجه الله تعالى كان فعله ذلك عبادة يثاب عليها»(٢)، ويدل على هذا حديث أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (يَقُولُ اللهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ)(٣).

فالعبادة في الإسلام لا تقتصر على ما يؤديه المسلم في المسجد، فإن فئة من الناس «قصَّرت في مفهوم العبادة، حتى عطلت كثيرًا من أنواعها، وقصَرتها على أعمال محدودة، وشعائر قليلة تؤدى في المسجد فقط، ولا مجال للعبادة في البيت، ولا في المكتب، ولا في المتجر، ولا في الشارع، ولا في المعاملات، ولا في السياسة، ولا الحكم في المنازعات، ولا غير ذلك من شؤون الحياة.

نعم للمسجد فضلٌ، ويجب أن تؤدى فيه الصلوات الخمس، ولكن العبادة تشمل كل حياة المسلم؛ داخل المسجد وخارجه»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري: (٤٣٤١)، ومسلم: (١٧٣٣).

(٢) تسهيل العقيدة: ١٧ باختصار يسير.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري: (٧٥٠١)، ومسلم: (١٢٩)، واللفظ للبخاري.

(٤) عقيدة التوحيد: ٦٩ باختصار يسير.

ومن هنا يمكن القول بأن المفهوم الشامل للعبادة يشمل شيئين[١]:

١ - العبادات المحضة: وهي العبادات القلبية والقولية والعملية التي دلت النصوص الشرعية على تحريم صرفها لغير الله تعالى كالإخلاص والتوكل والدعاء والصلاة والحج.

٢ - العبادات غير المحضة: وهي الأقوال والأعمال التي ليست عبادات في أصل مشروعيتها، ولكنها تتحول إلى عبادات بالنية الصالحة، واحتساب الأجر عليها من الله تعالى، فمتى فعل المسلم شيئًا منها مبتغيًا الأجر من الله، كانت له عبادة ، ومنها:

أ) فعل الواجبات والمندوبات التي لا تعد عبادة في أصلها، كالنفقة على الأهل، والزواج، وإغاثة الملهوف، وإكرام الضيف، والهدية، ونحوها.

ب) فعل المباحات، كالأكل، والشرب، والنوم، والعمل، والدارسة، ونحوها.

ج) ترك المحرمات، كالسرقة، والغش، والكذب، والخيانة، وأكل الربا، ونحوها.

ومن الأدلة على ذلك قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم صخرة في الغار فتوسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة، فالأول توسل ببره لوالديه، والثاني بإعطاء الأجير أجره، والثالث بترك الزنا[٢].

وهذا كله يدل على أن العبادة تشمل الدين كله، وتشمل الحياة كلها، فكل أعمال المسلم وعاداته تتحول إلى عبادة بالنية الصالحة، واحتساب الأجر من الله تعالى، أو التقوي بها على الطاعة.

---

(١) انظر: تسهيل العقيدة: ٦٦-٧١.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري: (٢٢١٥)، ومسلم: (٢٧٤٣).

المبحث الثاني

أركان العبادة وشروطها.

أولاً: أركان العبادة

للعبادة ركنان، لا تقوم إلا بهما:

الأول: كمال المحبة وتمامها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

الثاني: كمال الذل وغايته.

قال الشيخ حافظ الحكمي: «وقد جمع الله بين ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء]» (١).

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال ابن القيم في النونية:

وعبادةُ الرَّحمن غايةُ حُبِّه * مع ذُلِّ عابده هُما قطبان

فلا تصح العبادة، ولا تتحقق إلا باجتماعهما، ولا يغني أحدهما عن الآخر، قال ابن القيم: «العبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع، والعرب تقول: طريق معبد أي مذلل، والتعبد: التذلل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعًا له، لم تكن عابدًا له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدًا له حتى تكون محبًا خاضعًا» (٢).

---

(١) أعلام السنة المنشورة: ٦.

(٢) مدارج السالكين: ١/ ٩٥-٩٦، وانظر: رسالة قاعدة في المحبة ضمن جامع الرسائل لابن تيمية: ٢/ ٢٨٤.

ثانياً: شروط العبادة:

للعبادة شرطان، لا تصح، ولا تقبل إلا بهما:

الأول: الإخلاص، بأن يقصد المسلم بعبادته وجه الله، ولا يريد بعمله أحدًا سواه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[البينة: ٥].

الثاني: المتابعة، بأن تكون العبادة موافقة لما شرع الله، يُتَابِع فيها المسلم هدي النبي ﷺ، فلا يُعبَد الله ﷻ إلا بما شرع، فلا يجوز أن يُحدث في دين الله ما ليس منه، فعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنهَا، قالت: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)(١)، فمعنى قوله ﷺ: (أَحْدَثَ) أي اخترع أمرًا ليس له أصل في الكتاب والسنة، (فَهُوَ رَدٌّ) أي مردود على صاحبه، فهو عمل باطل لا يقبله الله ﷻ(٢).

وهذا الحديث دليل على تحريم الابتداع في الدين، فإن الله ﷻ أكمل دينه، وأتم نعمته على عباده، كما قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[المائدة: ٣]، فمن ابتدع في الدين فقد شرع ما لم يأذن به الله، قال تعالى: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[الشورى: ٢١].

وقد حذر النبي ﷺ من الابتداع في الدين، فقال ﷺ: (وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)(٣)، وقوله ﷺ: (كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) يدل على العموم، فيشمل كل بدعة، فليس في الإسلام بدعة حسنة وبدعة سيئة؛ بل كل البدع ضلالة كما بين النبي ﷺ في هذا الحديث.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري: (٢٦٩٧)، ومسلم: (١٧١٨)، وهذا لفظه.

(٢) انظر: فتح الباري: ٥/ ٣٠٢-٣٠٣.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود: (٤٦٠٧) وهذا لفظه، والترمذي: (٢٦٧٦)، وابن ماجه: (٤٢).

المبحث الثالث

دوافع العبادة وحِكَمها

أولاً: دوافع العبادة[(١)]:

للعبادة دوافع تدفع المسلم لأدائها، وتدعوه للإلتزام بها، والمحافظة عليها، ومن تلك الدوافع ما هو محمود، ومنها ما هو مذموم، وسنذكر بعضًا منها، فمن ذلك:

١ - الشعور الفطري

خلق الله الإنسان بفطرةٍ إيمانيةٍ تدفعه نحو عبادة الله، فيجد كل إنسان شعورًا فطريًا يرغبه في عبادة الله تعالى؛ لأن الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها تتضمن الإيمان بالله، كما قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الروم]، وهذا الشعور الفطري بحاجة الإنسان إلى العبادة إن سلم من الـمُغيرات توجه بالإنسان لعبادة الله ﷻ، وإن انحرف بفعل المؤثرات فلن يترك العبادة؛ لكنه سينحرف إلى عبادة غير الله إشباعًا لذلك الشعور الفطري، فالإنسان عابد بطبعه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكل من استكبر عن عبادة الله لا بد أن يعبد غيره... فمن لم يكن الله معبوده، ومنتهى حبه وإرادته، بل استكبر عن ذلك، فلا بد أن يكون له مُراد محبُوب يستعبده غير الله، فيكون عبدًا لذلك المراد المحبوب»[(٢)]، ولذا نجد أن كل الناس ـ مؤمنهم وكافرهم ـ تدعوهم فطرهم للعبادة، حتى الملاحدة الذين يجحدون وجود الله نجدهم يعبدون نظرياتهم وقادتهم وزعمائهم من حيث لا يشعرون.

---

(١) انظر: الثقافة الإسلامية: ٣٢٢-٣٣١.

(٢) انظر: العبودية: ١٠٠ باختصار يسير.

٢ - المحبة والتعظيم:

إن من أعظم دوافع عبادة الله ﷻ: محبته ﷻ، وتعظيمه ﷻ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران]، وقد عاب الله على المشركين محبتهم لغيره ﷻ كمحبتهم لله، فقال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وهذا يدل على أن المحبة باعثةٌ على العبادة، ودافع من أعظم دوافعه، و هذه المحبة حق خالص لله تعالى، لا يجوز أن تصرف لغير الله تعالى.

وكل من انحرف عن ذلك فعبد غير الله فهو محب لذلك المعبود محبة باطلة، وقد دعته تلك المحبة للوقوع في أعظم الخطايا، وهي الشرك بالله، واتخذ ذلك المحبوب ندًا مساويًا للخالق العظيم، وهذا من أعظم الظلال والعياذ بالله.

٣- الرغبة والرهبة:

تُعد الرغبة بثواب الله ﷻ، والرهبة من عقابه من الدوافع المهمة للعبادة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء]، فبين الله تعالى في هذه الآية أن الرغبة والرهبة سبب من أسباب عبادة المؤمنين لله ﷻ، وقد ذكر الله ذلك في غير ما آية من كتابه الكريم، ودعى إلى ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [السجدة]، وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف].

فالخوف من عذاب الله يدفع المؤمن لعبادته؛ ليتجنب ذلك العذاب، وكذلك الطمع في ثواب الله ﷻ يبعث في نفس المؤمن الرغبة في عبادته؛ لينال ذلكم الثوب.

٤ – الشكر:

تَعَدد نِعَم الله التي لا تحصى على عباده يوجب الشكر، وشكر الله على تلك النعم يكون بعبادته، والتذلل له ﷻ، والاجتهاد في العبادة، ولذا بين النبي ﷺ أن شكر الله تعالى من دواعي حرصه على كثرة النوافل، والاجتهاد في الطاعة، فقد قال المغيرة ﷺ: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: (أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا)(١)، وقد امتدح الله نبيه نوح ﷺ بذلك، كما قال الله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء].

٥ – الحاجة والافتقار:

حاجة العبد لخالقه، وافتقاره لفضله يدفعه لعبادته، ويحثه على التذلل له، والخضوع لعظمته، فالعبد فقير إلى ربه، محتاج إلى فضله، قال تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر].

واستشعار المسلم لهذا الأمر في كل أحواله يعينه على العبادة، ويساعده على التذلل لله، والخضوع له، فإذا فقد الإنسان ذلك، أو أحس بغناه طغى وتجبر، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق]، قال ابن جرير: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَتَجَاوَزُ حَدَّهُ، وَيَسْتَكْبِرُ عَلَى رَبِّهِ، فَيَكْفُرُ بِهِ، لِأَنْ رَأَى نَفْسَهُ اسْتَغْنَتْ»(٢)، ولذا فإن كثرة المال مدعاة للتكبير عن عبادة الله إلا من عصم الله، وقلته مدعاة للتذلل للخالق ﷻ، وعبادته ﷻ.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري: (٤٨٣٦)، ومسلم: (٢٨١٩).

(٢) جامع البيان: ٢٤/ ٥٣٢.

٦- العادة والتقليد:

العادة والتقليد من دوافع العبادة لدى بعض الناس؛ لكنه دافع مذموم، إذ إن فعل العبادة بداعي العادة والتقليد يجعل العبادة عادة اجتماعية يمارسها الإنسان اتباعًا لمجتمعه، والتزامًا بعاداته، فيُفرِّغ العبادة من حِكَمِها، وتَفْتَقد أركانها وشروطها، فيمارسها الإنسان كما يمارس سائر عادته، فلا تُقبل منه، ويكون مُقلدًا لغيره تقليدًا أعمى، ولذا حذر ابن مسعود من هذا التقليد الأعمى الذي يُردي صاحبه في الهلاك، فقال: «لَا يَكُونُ أَحَدُكُمْ إِمَّعَةً»، قالوا: وما الإمعة يا أبا عبد الرحمن؟ قال: يقول: «إِنَّمَا أَنَا مَعَ النَّاسِ إِنِ اهْتَدَوْا اهْتَدَيْتُ، وَإِنْ ضَلُّوا ضَلَلْتُ، أَلَا لِيُوَطِّنْ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ عَلَى إِنْ كَفَرَ النَّاسُ أَنْ لَا يَكْفُرَ»(١).

وهذا الدافع يعد من سمات المنافقين، كما جاء في حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: قال النبي ﷺ: (قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا، أَوْ مِثْلَ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ فَيُؤْتَى أَحَدُكُمْ، فَيُقَالُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟

فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، أَوِ الْمُوقِنُ فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ، هُوَ رَسُولُ اللهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَأَطَعْنَا، ثَلَاثَ مِرَارٍ، فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ، قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ إِنَّكَ لَتُؤْمِنُ بِهِ، فَنَمْ صَالِحًا.

وَأَمَّا الْمُنَافِقُ، أَوِ الْمُرْتَابُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ: شَيْئًا، فَقُلْتُ)(٢).

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: (٨٧٦٥)، وروى الترمذي رقم: (٢٠٠٧) بإسناد ضعيف عن حذيفة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري: (٨٦)، ومسلم: (٩٠٥).

ثانياً: حِكَم العبادة ومقاصدها(١)

للعبادة في الإسلام حِكَمٌ عظيمة، ومقاصدُ جليلة، ومن أهم تلك الحِكم والمقاصد:

١ - تحقيق العبودية لله ﷻ، بامتثال أمره، واجتناب نهيه، والتسليم لحكمه، وبذلك يتحقق الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

٢ - شكر الله تعالى على ما من به على عباده من نعم لا تعد ولا تحصى، فبشكر الله تدوم النعم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم].

٣ - تحقيق الإيمان بالغيب بامتثال أمر الله ﷻ، رغبة في الثواب، وخوفًا من العقاب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [يس].

٤ - الابتلاء والامتحان بالعبادة، والتكليف بالطاعة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك].

وهذه الحِكَمُ عامة لجميع العبادات، وقد يكون لبعضها حِكم ومقاصد تخصها، ومعرفة تلك الحِكم يُعين على أدائها، ولكنه ليس أمرًا لازمًا، إذ الأصل أداء العبادة امتثالًا لأمر الله ﷻ، لا من أجل حِكمها ومقاصدها، فتحقيق العبودية، وامتثال أمر الله تعالى أعظم الحِكم لكل عبادة شرعها الله تعالى، وهذا كافٍ لكل مؤمن، ولذا فمن الخطأ البين طلب حكمة تُقنع العقل لكل عبادة من العبادات بجميع تفاصيلها التوقيفية التي لا يدركها العقل كعدد الركعات، وأنصبة الزكاة، ونحو ذلك.

---

(١) انظر: العبادة في الإسلام: ٢١٧، الثقافة الإسلامية: ٣٧٤.

المبحث الرابع

مفاهيم وممارسات خاطئة في العبادة

١ - المفهوم القاصر للعبادة:

يَقْصُرُ بعض الناس مفهوم العبادة على الشعائر التعبدية كالصلاة والصيام والحج، ويغفل عن أن العبادة في الإسلام «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[(١)].

وهذا المفهوم الشامل للعبادة لا ينحصر في الشعائر التعبدية، بل يمتد إلى حياة المسلم بكل تفاصيلها، وإلى جوانب الحياة بكل تشعباتها، فعمل المسلم عبادة، ونومه، وأكله، وشربه، وزواجه كذلك يُعد عبادة متى قَصَد بها وجه الله تعالى.

والعبادة تمتد خارج المسجد فالبيت مكان للعبادة، وكذا مكان العمل والدراسة والسوق، وغير ذلك، فبالنية الصالحة تتحول الحياة إلى عبادة، والكون إلى مسجد يعبد الله في كل أنحائه، وفي قول النبي ﷺ: (وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا)[(٢)] ما يشير إلى شمول العبادة، وإن كان ورد في معرض جواز الصلاة في كل مكان، والتطهر بالتراب بدل الماء عند الضرورة.

وقد بين النبي ﷺ خطأ قصر مفهوم العبادة على الشعائر التعبدية عندما قرأ قول الله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [التوبة: ٣١]، فقال عدي بن حاتم: «ما كنا نعبدهم»، ظنًا منه أن مفهوم العبادة مقتصر على الصلاة ونحوها من الشعائر التعبدية،

---

(١) العبودية: ٤٤.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري: (٣٣٥)، ومسلم: (٥٢١).

فصحح له النبي ﷺ هذا المفهوم، فقال ﷺ: (أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟) قال عدي: بلى، فقال ﷺ: (فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ)(١).

فدل ذلك على أن مفهوم العبادة يشمل جوانب الحياة كافة، ولا يقتصر على جانب دون جانب آخر.

٢- تحويل العبادة إلى عادة:

يحرص بعض المسلمين على أداء العبادات، والمحافظة عليه؛ لكنه لا يستحضر عند أدائها كونها عبادة، وأنه يجب أن يؤديها بخضوع وتذلل وخشوع، مستحضرًا عظمة الخالق الذي يعبده، فيكون دافع أمثال هؤلاء العادة والتقليد لمجتمعهم كما مر، أو عدم استحضار كونها عبادة يؤديها تذللًا وخضوعًا لله تعالى، فلا يُنالون تلك الآثار العظيمة المترتبة على العبادة، وتكون عبادتهم كسائر عاداتهم التي يفعلونها في حياتهم.

ولذا تجد من يؤدي العبادة ولا ينتفع بها، ولا تؤثر في سلوكه، كمن يصلي ولا تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[العنكبوت:٤٥]، وما ذاك إلا لأنه أدها دون استحضار كونها عبادة، ولا رغبة في تحصيل ثمارها العظيمة، وآثارها الجليلة.

فيجب على المؤمن أن يحرص على أداء العبادة بخشوع وخضوع، واستحضار لعظمة من يقف بين يديه؛ لتعلو مرتبته، وتزكو عبادته، ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول ﷺ عن الإحسان: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)(٢).

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي: (٣٠٩٥)، والطبراني: (٢١٨)، والبيهقي في الكبرى: (٢٠٣٥٠)، والصغرى: (٢٦١)، واللفظ للطبراني والبيهقي في الصغرى.

(٢)صحيح: أخرجه مسلم: (٨).

٣- الحرص على النوافل والتفريط في الفرائض:

من المسلمين من يحرص على نوافل العبادة أشد من حرصه على الفرائض، وهذا من مسالك الشيطان التي يُلبِّس بها على المسلم، فنجد بعضهم يفرط في بعض الفرائض، ويشتد حرصه على النوافل، وهي من المستحبات التي لم يوجبها الله عليه، وأما الفرائض فهي من أوجب الواجبات، وأحب الأعمال إلى الله تعالى، كما في حديث أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ...)الحديث[1].

فينبغي على المسلم أن يكون حرصه على الفرائض مقدم على حرصه النوافل، مع عدم التفريط في النوافل، والاكثار منها؛ لينال محبة الله له كما في جاء الحديث.

٤- الغلو في العبادات

ومن ذلك التشدد في أداء العبادة، وتكليف النفس فوق الطاقة في أداء نوافل العبادات، وجعل بعض المستحبات في مرتبة الواجبات، وقد قال ﷺ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ)[2]. ومر بنا في مسألة الغلو في الدين شيء من ذلك.

٥- البدع في العبادات

من أخطر الأمور على الدين ما يقوم به بعض المسلمين من ابتداع عبادات لم يرد لها أصل في الشرع، فقد أخرج الشيخان من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي ﷺ قال: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)[3]، وفي رواية لمسلم: (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ).

---

(١)صحيح: أخرجه البخاري: (٦٥٠٢).

(٢) صحيح: أخرجه النسائي: (٣٠٥٧)، وابن ماجه: (٣٠٢٩)، واللفظ له.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري: (٢٦٩٧)، ومسلم: (١٧١٨).

وقد سبق أن ذكرنا أن من شروط العبادة المتابعة، فلا يجوز للمسلم أن يؤدي عبادة ما لم يكن لها أصل في الشرع، فإن فعل فقد ابتدع في الدين مالم يأذن به الله، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

والبدعة أعظم خطرًا على المسلم من المعصية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والبدعة شرٌ من المعصية كما قال سفيان الثوري: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ فإن المعصية يُتاب منها والبدعة لا يُتاب منها»(١)، وذلك أن العاصي يعلم أنه مذنب، فتُرجى توبته، وصاحب البدعة يظن أنه على حق، فلا يتوب، وهذا من الخذلان العظيم، والخسران المبين، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف].

ومما يبين خطر البدع ما نُقل عن الإمام مالك أنه قال: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا»(٢).

فيجب على المسلم تجنب البدع، والاعتصام بالسنة، والعمل بهدي النبي ﷺ في العبادة، فإن الله لا يقبل العبادة ما لم تكن موافقة لهدي النبي ﷺ.



(١) مجموع الفتاوى: ١١/ ٤٧٢.

(٢) الاعتصام: ١/ ٦٥.

ثبت المصادر والمراجع

١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة: عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٢) الإسلام على مفترق الطرق: محمد أسد، دار العلم للملايين، بيروت، دون تاريخ.

٣) الإسلام كبديل: مراد ويلفريد هوفمان، تعريب عادل المعلم، دار الشروق، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٤) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: نخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ.

٦) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: صالح بن فوزان الفوزان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ.

٧) الاعتصام: إبراهيم بن موسى اللخمي الشهير بالشاطبي، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٨) أعلام السنة المنشورة: حافظ بن أحمد الحكمي، مكتبة السوادي، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

٩) البحر الرائق شرح كنز الدقائق: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، د.ت.

١٠) البحر المحيط في أصول الفقه: محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار الكتبي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١١) التبيان في علوم القرآن: الشيخ محمد علي الصابوني مكتبة الغزالي، بيروت.

١٢) تحصين المجتمع الإسلامي ضد الغزو الفكري: د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، مجلة الجامعة الإسلامية، السنة (٣٥) العدد (١٢١)، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ.

١٣) تسهيل العقيدة الإسلامية: د.عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

- تفسير ابن أبي حاتم = تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم.
- تفسير ابن جرير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن

١٤) تفسير القرآن العظيم: عبد الرحمن بن محمد التميمي، ابن أبي حاتم الرازي، تحقق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

١٥) تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٦) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: سليمان بن عبدالله آل الشيخ، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٠٩هـ

١٧) الثقافة الإسلامية: د. علي بادحدح، د. محمد أحمد باجابر، دار حافظ جدة د.ط ١٤٢٥هـ.

١٨) الثقافة الإسلامية تخصصًا ومادة وقسمًا علميًا: تأليف جمع من أساتذة الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ

١٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٠) حاشية كتاب التوحيد: عبدالرحمن بن قاسم، دون ناشر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ

٢١) دراسات في الثقافة الإسلامية: د. رجب شهوان وآخرون، مكتبة الفلاح، الكويت الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ

٢٢) دراسات في علوم القرآن: محمد بكر إسماعيل، دار المنار، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ

٢٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية: جمع عبدالرحمن بن محمد العاصمي النجدي، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ

٢٤) رسالة في أسس العقيدة، محمد بن عودة السعوي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ

٢٥) رؤية إسلامية للاستشراق : أحمد عبد الحميد غراب، مؤسسة دار الأصالة، الرياض ١٤٠٨هـ

٢٦) روضة الناظر وجنة المناظر: موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ

٢٧) شرح العقيدة الواسطية: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، تحقق: سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤١٩هـ

٢٨) شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الثريا للنشر، الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ.

٢٩) الشريعة: محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّي البغدادي، تحقيق د. عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ

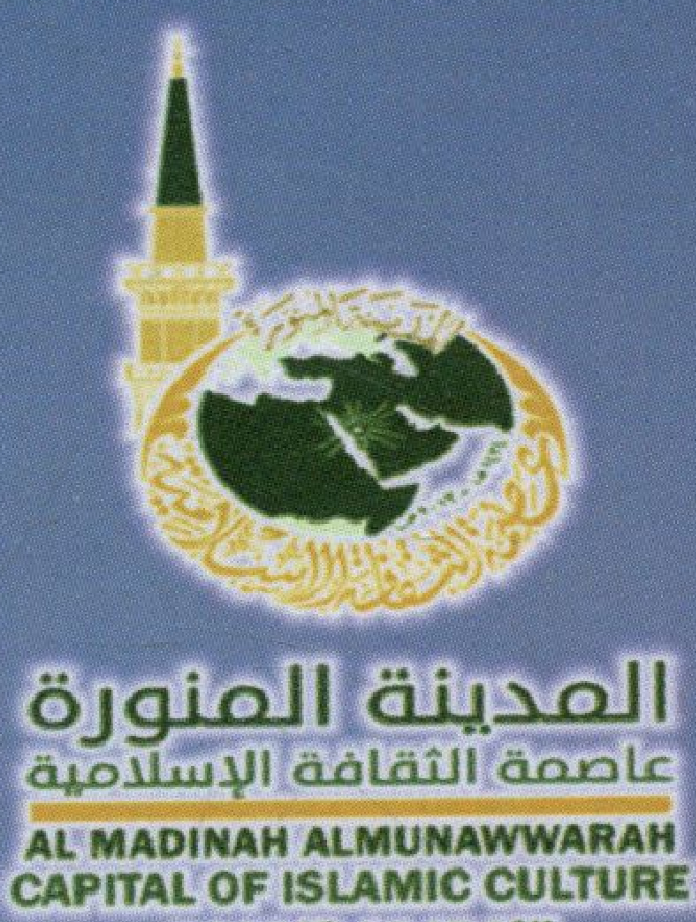
٣٠) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الأنصاري، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ

٣١) ضوابط تكفير المعين: عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين، مطبعة سفير، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ

٣٢) العبودية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٦هـ.
٣٣) العقيدة الصحيحة وما يضادها: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، د.ن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٣٤) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام: د. عبد الستار فتح الله سعيد، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى.
٣٥) الغزو الفكري ووسائله: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مجلة الجامعة الإسلامية، السنة (١٥)، العدد (٥٩)، المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ.
٣٦) الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.
٣٧) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الاسفراييني، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.
٣٨) الفصل في الملل والأهواء والنحل: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٣٩) القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ.
٤٠) قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٤١) القول المفيد شرح كتاب التوحيد: محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ودار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٤٢) الكفاية في علم الرواية: أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقق أبو عبدالله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
٤٣) لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الإفريقي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
٤٤) لمحات في الثقافة الإسلامية: عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ.
٤٥) لمعة الاعتقاد: موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي، الشهير بابن قدامة المقدسي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
٤٦) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ.
٤٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، جمع عبدالرحمن القاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٤٨) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد العثيمين، جمع وترتيب فهد السليمان، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ
٤٩) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبدالعزيز بن باز، جمع وإشراف محمد الشويعر، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ
٥٠) المحصول: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دراسة وتحقيق: د. طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ هـ
٥١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ
٥٢) مدخل إلى الثقافة الإسلامية: د. محمد رشاد سالم، دار القلم، الكويت، الطبعة التاسعة.
٥٣) المدخل إلى الثقافة الإسلامية: د. خالد القاسم وآخرون، مدار الوطن، الرياض، الطبعة التاسعة، ١٤٣٠هـ
٥٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول: حافظ بن أحمد الحكمي، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ
٥٥) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر، لبنان، بيروت.
٥٦) مقدمات في الثقافة الإسلامية، د. مفرح بن سليمان القوسي، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.
٥٧) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية: محماس بن عبدالله الجلعود، د.ن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ
٥٨) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: إشراف وتخطيط ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني، الطبعة الثالثة، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ١٤١٨هـ
٥٩) نحو ثقافة إسلامية أصيلة: عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، عمان، الطبعة الثانية عشرة، ١٤٢٥هـ
٦٠) نواقض الإيمان الاعتقادية، وضوابط التكفير عند السلف: د. محمد بن عبد الله الوهيبي، الطبعة الثانية، دار المسلم، الرياض، ١٤٢٢هـ
٦١) نواقض الإيمان القولية والعملية: د.عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، دار الوطن، الرياض الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ
٦٢) الواقي في الثقافة الإسلامية: مصلح بن عبد الحي النجار، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٧هـ
٦٣) وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤٠٩هـ
٦٤) الولاء والبراء في الإسلام: محمد سعيد القحطاني، دار طيبة، الرياض، الطبعة الربعة، ١٤١١هـ

فهرس المحتويات



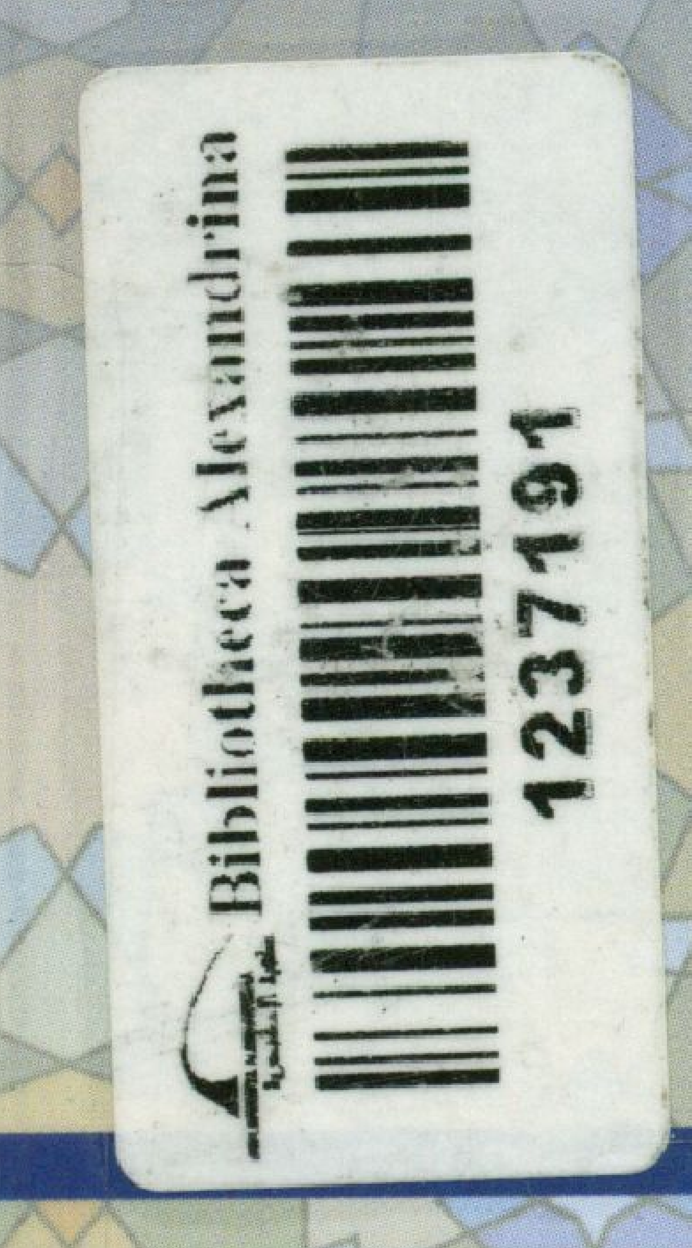
يتزامن صدور هذه الطبعة من هذا الكتاب

معالم الثقافة الإسلامية

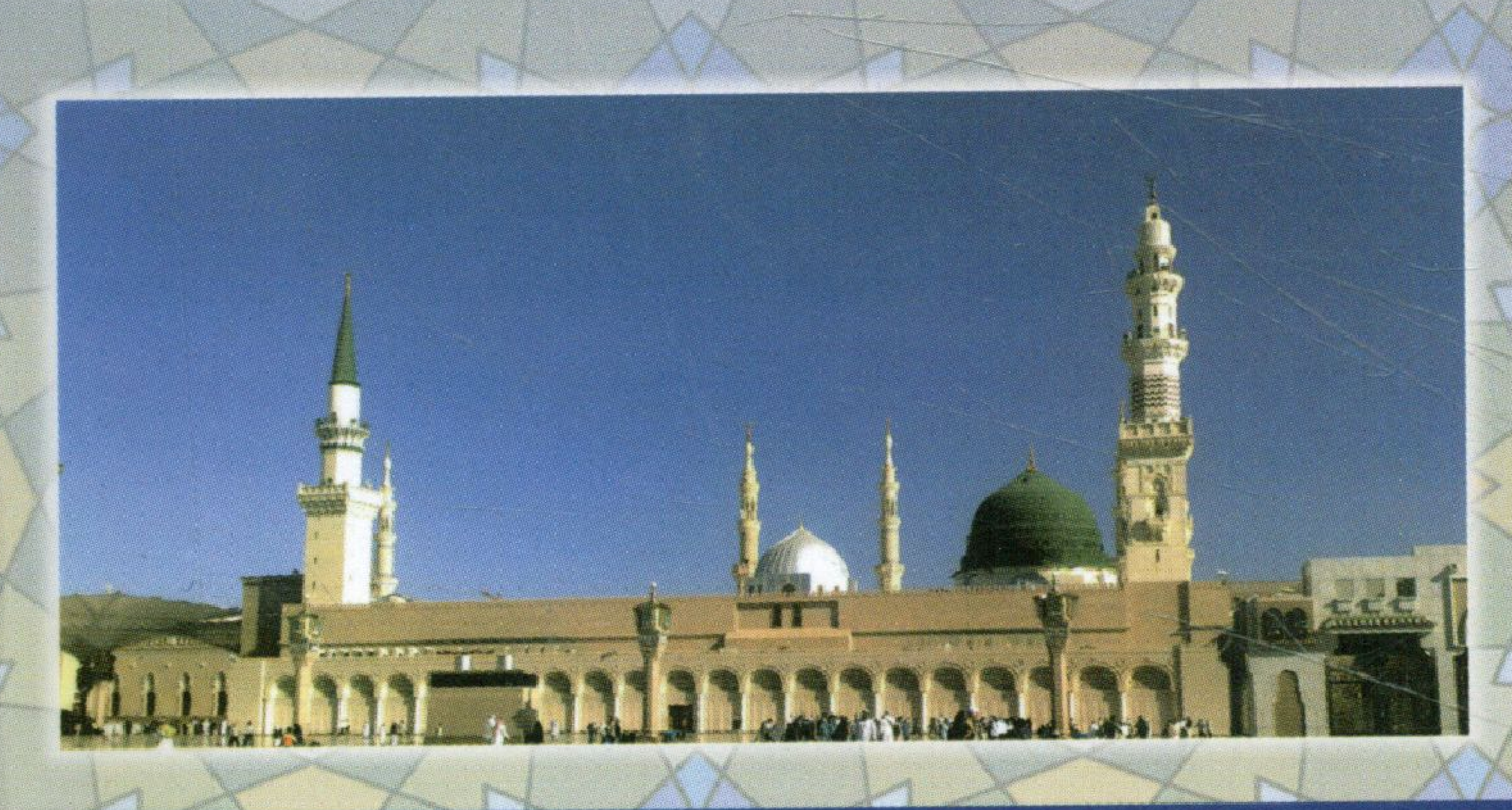
مع اختيار المدينة المنورة عاصمة للثقافة الإسلامية

لعام ١٤٣٤هـ الموافق لعام ٢٠١٣م

وذلك لما تحظى به مدينة المصطفى ﷺ من مكانة عظيمة في الثقافة الإسلامية، وتجسيداً لما تتمتع به المدينة النبوية من خصائص شرعية وتاريخية وثقافية أهلتها لتكون عاصمة للثقافة الإسلامية بحق، حيث انطلقت منها الرسالة لتعم أرجاء العالم كافة بالهداية والخير والنور المبين.



922



ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٠١-١٦٣٤-٨